الفصل الثالث

محاربة السنة
جذورها .. من وراءها .. ولماذا؟

أعداء السنة من أهل الأهواء والبدع:

إن السنة المطهرة لقيت من عنت أهواء أهل البدع عناءً كبيرًا، وكان لها الأثر الكبير فيما أثير حول السنة من شبهات، ومن هنا كان لابد لكل من يتحدث عن الشبهات التي يطعن بها أعداء الإسلام في حجيتها أو مكانتها في التشريع الإسلامى أن يتعرض لموقفها من السنة المطهرة ومن صحابة رسول الله ﷺ لما كان لها من الأثر الكبير في تفريق الأمة الإسلامية إلى أحزاب وشيع.

وتأتى أهمية دراسة تلك الفرق لما يأتى:

أولًا: لأن هذه الفِرَق وإن كانت قديمة فليست العبرة بأشخاص مؤسسي تلك الفرق ولا بزَمَنهم، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر، فإننا إذا نظرنا إلى بعض تلك الفرق الماضية كالخوارج (القرآنيون) نجد أن لها امتداد يسرى في حاضر الأمة سريان الوباء، وكذلك المعتزلة لا زالت أفكارهم حية قوية يتشدق بها بعض المغرضين من الذين استهوتهم الحضارة الغربية والشرقية، فراحوا يمجّدون العقل ويحكّمونه في نصوص الشرع قرآنًا وسنة، فما وافق عقولهم قبلوه وإلا ردوه، أو تأولوه تأويلًا يضر بعقيدة المسلم، ويصفون من يعتمد على ما وراء ذلك بالتأخر والانزواء.

إنهم يريدون الخروج عن النهج الإسلامى، ولكنهم لم يجرؤوا صراحة على ذلك، فوجدوا أن التستر وراء تلك الآراء التي قال بها من ينتسب إلى الإسلام خير وسيلة لتحقيق ذلك، فذهبوا إلى تمجيد تلك الأفكار لتحقيق أهدافهم البعيدة.

فتأتى أهمية دراسة تلك الفِرَق لبيان ما فيها من أفكار وآراء هدامة مخالفة لحقيقة الإسلام، وكيف يعمل على إحيائها وترويجها في العصر الحاضر من سار على دربهم أو تأثر بهم، ذلك أنه ما من بلاء كان فيما سبق من الزمان إلا وهو موجود اليوم في وضوح تام، فلكل قوم وارث.

ويأتى الهدف من وراء ذلك بكشف القناع عن تلك الحركات والأفكار الهدامة التي يقول بها في العصر الحاضر أولئك الخارجون عن الخط السوى والصراط المستقيم، لتعرية دورهم الخطير في الطعن والتشكيك في الإسلام قرآن وسنة، وإشاعة الفرقة والاختلاف في صفوف المسلمين، بتعريف الناس بأمرهم وبحقيقة فكرهم للتحذير منهم.

ثانيًا: إن دراسة تلك الفِرَق يكشف جذور البلاء الذي شتت قُوَى المسلمين وفرقهم شيعًا، وجعل بأسهم بينهم شديدًا،كما يكشف لنا جذور شبهات أعداء السنة في العصر الحاضر.

ثالثًا: إن الفِرَق التي ظهرت قديمًا ما من فِرقة منها إلا وقد قامت مبادئها على بعض المنكرات، وهى تدعى أنها هى المُحِقّة وما عداها على الضلال، فألبسوا الحق بالباطل، وأظهروا مروقهم وخروجهم وفجورهم عن منهج الكتاب والسنة في أثواب براقة لترويج بدعهم والدعوة لها. فتأتى دراسة تلك الفرق لبيان أضرارها على العقيدة الإسلامية ووحدة الأمة.

رابعًا: إن عدم دراسة الفرق والرد عليها وإبطال الأفكار المخالفة للحق، فيه إفساح المجال للفرق المبتدعة أن تفعل ما تريد، وأن تدعو إلى كل ما تريد من بدع وخرافات دون أن تجد من يتصدى لها بالدراسة والنقد كما هو الواقع، فإن كثيرًا من طلاب العلم – فضلًا عن عوام المسلمين – يجهلون أفكار فرق يموج بها العالم، وهى تعمل ليلًا ونهارًا لنشر باطلهم، ولعل هذه الغفلة من المسلمين عن التوجه لكشف هذه الفرق المارقة، لعله من تخطيط أولئك المارقين الذين يحلوا لهم حجب الأنظار عنهم، وعن مخططاتهم الإجرامية.

ولا أدل على ذلك من تلك الأفكار وبعض العبارات التي يرددها كثير من المسلمين في كثير من المجتمعات الإسلامية دون أن يعرفوا أن مصدرها إما من الخوارج مثل قولهم لا حجة في شئ من أحكام الشريعة إلا من القرآن، أما السنة فلا حجة فيها، ومثل استحلال دماء المسلمين لأقل شبهة، وتكفير الشخص، بل المجتمعات الإسلامية بأدنى ذنب، أو من المعتزلة مثل تمجيد العقل، وتحكيمه في نصوص الشرع قرآنًا وسنة، فما وافقه قبل وإلا فيرد، أو من الشيعة مثل تكفير الصحابة أو بعضهم واتهامهم بالكذب والخوض في فتنة عثمان وعلى ومعاوية رضي الله عنهم، أو من البهائية مثل تقديس العدد تسعة عشر، إلى غير ذلك.

ومن المعلوم أن ذلك إنما يعود إلى الجهل بأفكار وأهداف هذه الفرق التي أضلت كثيرًا من شباب هذه الأمة في كثير من المجتمعات الإسلامية قديمًا وحديثًا، من هنا تأتى أهمية دراسة الفرق وكشف القناع عن أهوائها وبدعها ليكون ذلك الكشف نورًا يضئ لشباب الأمة طريقه وسط هذا الظلام الفكرى المفتعل مِن قِبَل ذيول تلك الفِرَق التي تعمل في الظلام لنشر أفكارها، وفرض مخططاتها المعادية للإسلام.

الخوارج وموقفهم من السنة المطهرة:

الخوراج هم الذين أنكروا على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه التحكيم، وتبرؤوا منه، ومن عثمان وذريته وقاتَلوهم، وهم قوم مبتدعون سُمُّوا بذلك لخروجهم عن الدين وخروجهم على خيار المسلمين وكل من شاركهم في آرائهم في أى زمن يسمى خارجيًا.

وترجع بداية نشأة الخوارج كفرقة ذات اتجاه سياسى وفكر خاص حين خرجوا على الإمام على رضي الله عنه بعد أن رضى بالتحكيم في موقعة صفين، والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة.

ولم يكن في الخوارج أحدٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا من فقهاء أصحاب الصحابة من التابعين رضي الله عنهم ، ولو كان فيهم أحد من فقهاء الصحابة أو من أصحابهم ما اجترءوا على الفتنة والخروج على خليفة المسلمين واتهامه بالكفر وقتْله، وإنما هم قوم من الأعراب الجفاة الغلاظ.

خاض الخوارج - كغيرهم من الفرق - في مسائل اعتقادية وفقهية، فنُقل عنهم أنهم ينكرون حجية الإجماع والسنن الشرعية، وقد زعمت هذه الطائفة أنه لا حجة في شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن.

وهم في تعاملهم مع كتاب الله بين موقفين: فتارة يكونون نَصِّيِّين يجمدون على المعنى الظاهر من النص دون بحث عن معناه الذي يهدف إليه. وتارة ثانية يؤولون النصوص تأويلًا يوافق أهواءهم.

وكان لموقفهم هذا من القرآن الكريم، وجهلهم بالحديث، وعدم تحملهم له عن غيرهم، لأنهم كفرة في نظرهم سببًا في أن عقائدهم وأحكامهم الفقهية جاءت مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، بل منه ما جاء مخالفًا لنصوص القرآن الكريم.

فمنهم من يرى أن التيمم جائز، ولو على رأس بئر، ومنهم من يرى أن الواجب من الصلاة إنما هو ركعة واحدة بالغداة وأخرى بالعشى، ومنهم من يرى الحج في جميع شهور السنة، ومنهم من يبيح دم الأطفال والنساء ممن لا ينتمى إلى عسكرهم، ومنهم من جوز نكاح بنت الابن وبنت الأخ والأخت.

ومنهم من أنكر أن تكون سورة يوسف من القرآن، ومنهم من قال إن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن عند الله ولو اعتقد الكفر بقلبه، وعظم البلاء بهم وتوسعوا في معتقدهم الفاسد، فأبطلوا رجْم المحصن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها، وكفَّروا من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إن كان قادرًا، وإن لم يكن قادرًا فقد ارتكب كبيرة، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، وكَفُّوا عن أموال أهل الذمة، وعن التعرض لهم مطلقًا، وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبى والنهب، فمنهم من يفعل ذلك مطلقًا بغير دعوة منهم، ومنهم من يدعوا أولًا ثم يفتك، وغير ذلك الكثير والكثير.

وهذا مما يدل على جهل عميق حتى بالقرآن الكريم، وأكثر ذلك أتاهم من أنهم لا يعتدُّون برواية جمهور المسلمين، وكيف يأخذون دينهم عن قوم هم كفار في نظرهم، وإنما يعتمدون ما رواه لهم أئمتهم، وهم خلوا من العلم بسنة رسول الله ﷺ، بل خلوا من فهم أحكام القرآن على وجهها الصحيح.

ثم لا يغيب عن البال أن هذا الحكم لا يسرى على جميع أفراد الخوارج، بل قد وُجِد منهم فيما بعد أفراد وأئمة تفقهوا في الدين، ورووا الحديث، واعتمدهم بعض أئمة الحديث كالبخارى فقد احتج بعمران بن حطان، وهو من الخوارج، لا سيما إذا عُلِمَ أن الخوارج يحكمون بكفر من يكذب؛ لأن مرتكب الكبيرة كافر في نظرهم، والكذب من الكبائر. واحتجاج الإمام البخارى في صحيحه بعمران بن حطان رغم أنه مبتدع من الخوارج؛ وبغيره من المبتدعين محمول على:

١- أنه خرَّج لهم ما حمل عنهم قبل ابتداعهم.

٢- أو أنهم يكونون ممن تابوا ورجعوا عن بدعتهم في آخر حياتهم.

٣- أو يكونون تبرؤوا مما نسب إليهم.

وليس لعمران بن حطان في البخارى سوى حديثين أحدهما متابعة والآخر أصل. وعلى الأقوال السابقة يحمل أيضًا ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن المبتدعين.

عقيدة الخوارج في الصحابة ﷺ وأثر ذلك على السنة المطهرة:

للخوارج في الصحابة ﷺ رأيٌ يخالف رأى الجمهور من المسلمين؛ فهم على اختلاف فرقهم يُعَدِّلون الصحابة جميعًا قبل الفتنة، ثم يكَفِّرون عثمان، وعلى، وأصحاب الجمل، والحَكَمَيْن، ومن رضى بالتحكيم، وصَوَّب الحَكَمَين أو أحدهما، وبذلك ردوا أحاديث جمهور الصحابة بعد الفتنة، لرضاهم بالتحكيم، واتباعهم أئمة الجوْر على زعمهم، فلم يكونوا أهلًا لثقتهم.

أما جمهور المسلمين فقد حكموا بعدالة الصحابة ﷺ جميعًا، سواء منهم من كان قبل الفتنة أو بعدها، وسواء منهم من انغمس فيها أو جَانَبَها، ويقبلون رواية العدول الثقات عنهم، وكان من آثار هذا الاختلاف في النظر إلى الصحابة ﷺ أنْ هاجم الخوارج السُّنة التي جمعها الجمهور وحققها أئمتهم ونُقَّادُهم، منذ عصر الصحابة حتى عصر الجمع والتدوين.

والخوارج لم ينغمسوا في رذيلة الكذب على رسول الله ﷺ كما فعل غيرهم، نظرًا لأنه عندهم كبيرة ومرتكبها كافر، ونظرًا لبداوتهم وجفاء طبعهم وغلظتهم كانوا غير مستعدين لقبول أفراد من الأمم الأخرى، كالفرس، واليهود، والنصارى، وغيرهم ممن يريدون هدم الإسلام واندسوا في الشيعة، ووضعوا كثيرًا من الأحاديث، فضلًا على أنهم كانوا صرحاء لا يعرفون التقية التي يؤمن بها الشيعة. إلا أن موقفهم من الصحابة جعلهم يردُّون الأحاديث التي خرجت بعد الفتنة، أو اشترك رواتها بالفتنة، فضلًا عن جهلهم بأحكام القرآن على وجهها الصحيح؛ جعلهم يخالفون جمهور المسلمين في عقائدهم وأحكامهم الفقهية.

وإنه لبلاء عظيم أن نُسقِط عدالة جمهور الصحابة الذين اشتركوا في النزاع مع على أو معاوية، أو نُسقِط أحاديثهم ونحكم بكفرهم أو فسقهم، والخوارج في هذا الرأى لا يقلون عن الشيعة خطرًا وفسادَ رأى، وسوءَ نتيجة، وإذا كان مدار الاعتماد على الرواية هو صدق الصحابى وأمانته، فيما نقل - وقد كان ذلك موفورًا عندهم - وكان الكذب أبعد شئ عن طبيعتهم ودينهم وتربيتهم، فما دخْلُ ذلك بآرائهم السياسية

وأخطائهم ووصْفهم بأوصاف لا تليق بعامة الناس؟ فكيف بالصحابة ﷺ الذين كان لهم في خدمة الإسلام قدم صدق، لولاها لكنا نتيه في الظلمات ولا نعرف كيف نهتدى سبيلًا؟!

والخلاصة أن الخوارج جهَلة بالسُنة ولا يحتجون بها؛ لأنها جاءت من طريق الصحابة ﷺ وهم كفار في نظرهم، فضلًا عن عدم استعدادهم لقبول آراء غيرهم؛ نظرًا لبداوتهم وجفاء طبعهم وغلظتهم وجهلهم بفقه الكتاب والسنة؛ ولذا نجدهم يعملون على محاربة المسلمين وإراقة دمائهم وانتهاك حرمتهم فهم أحقاء بأن يسموا بالخوارج البغاة لخروجهم على السنة وأهلها ومعاداتهم لها.

الشيعة وموقفهم من السنة النبوية:

الشيعة يشيع فيهم الكذب على رسول الله ﷺ وعلى أئمتهم، وذلك باعتراف علمائهم، وهذا من أشد الخطر على الإسلام والمسلمين، وذلك بسبب:

١- استعمالهم التقية المرادفة للكذب.

٢- تظاهرهم بنصرة آل البيت، حيث انخدع بهم كثير من العوام بل وخواص المسلمين.

٣- بُغضُهم وتكفيرُهم ولعْنُهم صحابة رسول الله رضي الله عنهم إلا نفر يسير، وبُغضهم وتكفيرهم لأهل السنة.

وقد قام التشيع في ظاهر الأمر على أساس الاعتقاد؛ بأن عليًا رضي الله عنه وذريته هم أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ، وأن عليًا أحق بها من سائر الصحابة بوصية من النبي ﷺ، كما زعموا في رواياتهم التي اخترعوها وملأوا بها كتبهم قديمًا وحديثًا.

والتشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستارًا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم.

فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة، وقال الرافضة السبئية: إن النار محرمة على الشيعى إلا قليلًا، كما قال اليهود لن تمسنا إلا أيامًا معدودات.

والنصرانية ظهرت في فرق الحلولية وهى فرق أكثرها يرجع إلى غلاة الروافض فقال بعضهم: إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه، وقالوا: إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبدًا فمن اتحد به اللاهوت فهو نبى.

وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة، والفلاسفة، والمجوس من قبل الإسلام، وقال بها الراوندية من الروافض الحلولية.

وتستر بعض الفرس بالتشيع، وحاربَوا الدولة الأموية، والعباسية، وقاموا بثورات عديدة، سجلها علماء الفرق والتاريخ، وما في نفوسهم إلا الكُرْه للعرب ودولتهم والسعى لاستقلالهم وهيمنتهم، وتاريخ الشيعة في القديم والحديث شاهد صدق على أن الحركات المارقة والهدامة إنما خرجت من تحت عباءتهم بعد أن رضعت لبنهم وهدهدت بين ذراعيهم.

موقف الشيعة من الصحابة رضي الله عنهم:

يعتقد الشيعة أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم كانوا كفرة منافقين مخادعين لله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم - ونعوذ بالله من ذلك - لا يستثنون إلا خمسة أو سبعة أو بضعة عشر، على خلاف بينهم في هذا، والمجمع على استثنائهم هم: سلمان الفارسى، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفارى، والمقداد، وجابر بن عبد الله الأنصارى.

ويرى الشيعة أن كبار الصحابة مثل أبى بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير وبقية العشرة، وعائشة، وحفصة وغيرهم رضي الله عنهم كانوا متظاهرين بالإسلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع إبطانهم الكفر، خاصة فيما يتعلق بولاية عليّ رضي الله عنه حقدًا عليه حيث كانوا يطمعون في هذه الولاية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. بل هؤلاء الصفوة من خيرة أصحاب رسول الله رضي الله عنهم هم في عقيدة الشيعة رؤساء الكفر والنفاق فهم أصله ومعدنه وفرعه وثمرته، ونعوذ بالله من ذلك.

وهذه عقيدة لا ينفك عنها شيعى واحد من الاثني عشرية، وإن تظاهر أحدهم بإنكار ذلك فأعلم أنه يقولها (تقية) لأنها عقيدة لا تقبل المساومة عندهم، إذ لو صحح الشيعى إمامة أبى بكر وعمر وعثمان لوجب عليه أن يعترف ببطلان الولاية والإمامة لعلى وبنيه رضي الله عنهم، وهذا كفر بإجماع الاثني عشرية. وقد امتلأت كتب الشيعة - تفسيرًا وحديثًا - على كثرتها وكثرة ما بها من باطل - بهذه العقيدة الفاسدة، وسوَّدوا هذه الكتب بما تضيق منه الصدور من عقيدتهم هذه.

موقف الشيعة من الأمة الإسلامية:

يعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن أمة محمد ﷺ هى الأمة الملعونة، ولو كانت من سائر فرق الشيعة سواهم، فكل من لم يوال الاثني عشر إمامًا ويؤمن بولايتهم ويتبرأ من الصحابة؛ فهو ملعون هالك، أما من يعتقد إيمان الصحابة ويصحح خلافة أبى بكر وعمر وعثمان فهو ناصبى عندهم والناصبى شر من اليهود والنصارى وعبَدة الأوثان كما يزعمون، ولذلك حملتُهم على أهل السنة - النواصب في نظرهم- لا تكاد تهدأ؛ لأنهم أكثر فرق الأمة عرفانًا بالجميل للصحابة رضي الله عنهم، وعلى رأسهم آل بيت رسول الله ﷺ.

أثر موقف الشيعة الرافضة من الصحابة على الإسلام (قرآنًا وسنة):

أولًا: أثر موقف الشيعة من الصحابة على القرآن الكريم:

كان من آثار تكفير الشيعة للصحابة إلا من استثنوهم أن هاجموا القرآن الكريم والسنة النبوية، فهاجموا القرآن الكريم، وصرحوا وبكل وضوح أن في القرآن الكريم نقصًا وتحريفًا متعمدًا من الصحابة عند جمعه لإخفاء ما ورد صريحًا في ولاية الأئمة من آل البيت، أو لإخفاء الآيات التي فيها ذم المهاجرين والأنصار ومثالب قريش، وقد ألف أحد طواغيتهم واسمه حسين بن محمد تقى الطبرسى كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وفيه أكثر من ألفى رواية مكذوبة عن أئمتهم المعصومين، والتى تؤكد التحريف في القرآن من كل نوع، وعندما طبع الكتاب وقامت حوله ضجة ألف الطبرسى كتابًا آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) دافع فيه عن ما أودعه في كتابه السابق (فصل الخطاب) وقد كتب هذا الدفاع قبل موته بسنتين.

ومما يدل على أن الشيعة يكادون يُجمِعون على ما أورده الطبرسى في كتابه (فصل الخطاب) أنهم كافئوه على هذا المجهود في إثبات أن القرآن محرف بأن دفنوه في أقدس البقاع - عندهم - في بناء المشهد العلوى في النجف.

وفى عصرنا الحاضر ردد الخمينى هذا الإفك في كتابه (كشف الأسرار) قائلًا: «لقد كان سهلًا عليهم - الصحابة الكرام - أن يُخرجوا هذه الآيات من القرآن، ويتناولوا الكتاب السماوى بالتحريف، ويسدلوا الستار على القرآن، ويغيِّبوه عن أعين العالمين» ثم يقول: «إن تهمة التحريف التي يوجهها المسلمون إلى اليهود والنصارى، إنما تثبت على الصحابة».

ثانيًا: أثر موقف الشيعة من الصحابة على السنة النبوية:

وكما كان من آثار تكفير الشيعة للصحابة أن هاجموا القرآن الكريم، وادعوا تحريفه وتبديله، كان من آثار ذلك أيضًا أن هوجمت السنة التي جمعها الجمهور وحققها أئمتهم ونقادهم، منذ عصر الصحابة حتى عصر الجمع والتدوين، مِن قِبَل الشيعة التي وصَمَت أحاديث الجمهور من أهل السنة بالكذب والوضع، وخاصة ما كان منها في فضائل الصحابة الذين يكفِّرهم الشيعة ويلعنونهم.

ولم يقبلوا من أحاديث أهل السنة إلا ما وافق أحاديثهم التي يروونها عن أئمتهم المعصومين في نظرهم، والتى إن لم يزيدوا فيها كذبًا تأولوها بما يشهد لعقائدهم وأحكامهم الباطلة، أما ما عدا ذلك من السنة فلا يعتبرون به إلا إذا جاء من طريق آل البيت والتى لا يمكن إثبات صحتها لعدم اهتمامهم بصحة السند.

فالعدالة عندهم لا عبرة بها ما دام الراوى إماميًا يوالى الأئمة ولو لم يكن متهمًا، بل ولو كان مطعونًا في دينه. وإذا تتبعتَ تراجم أعلام الشيعة الرافضة في زمن أئمتهم رأيتَهم بين كذابين، وملاحدة، وشعوبيين، وفاسدى العقيدة، ومذمومين من أئمتهم، وكل ما يخطر ببالك من نقائص، ولذا تراهم يصححون أحاديث مَن دعا عليه المعصوم – عندهم- بقوله: «أخزاه الله وقاتله الله، أو لعنه»، أو حكم بفساد عقيدته أو أظهر البراءة منه.

وحكموا أيضًا بصحة روايات المشبِّهة والمجسِّمة، ومَن جوَّز البَدَاء [١] عليه ﷻ، مع أن هذه الأمور كلها مكفِّرة، ورواية الكافر غير مقبولة، فضلًا عن صحتها، فإذا كان هذا هو حال مَن يصححون حديثه وهو أقوى الأقسام عندهم، فما بالنا بحال الحسن والموثق والضعيف عندهم! إذ لا عبرة عندهم بالعدالة وإنما العبرة بمن معهم؟ ومن عليهم؟ فمن كان معهم معتقِدًا بعقيدتهم كان مؤمنًا تقيًا، وإلا كان كافرًا منافقًا إذا تبرأ منهم ومن عقيدتهم.

كما أنهم لا يشترطون اتصال السند في الحديث من الإمام إلى الرسول؛ لأن الإمام – في زعمهم – كلامه في قوة كلام الرسول وقدسيته، ووجوب العمل به؛ لأنه – بزعمهم – معصوم ويوحَى إليه.

وبالنظر في كتب الحديث النبوى عندهم؛ كـ"الكافى"، و"الاستبصار"، و"التهذيب"، و"من لا يحضره الفقيه" وغيرها، نجد رواياتها ليست كلها متصلة من أصحابها إلى أئمتهم الذين وجدوا في عصر النبي ﷺ. فالأحاديث المدوَّنة بها قد خلا أكثرها من الإسناد فنجد الروايات تذكر عن "عدة من أصحابنا"، أو عن الإمام جعفر، ثم تعد هذه الأقوال أحاديث عن النبي ﷺ. مع وجود الفارق الزمنى الكبير بين أصحاب هذه الروايات وبين النبي ﷺ وهو فارق زمنى يصل إلى عدة قرون.

وكان لهجوم الشيعة وتجنيهم على الصحابة رضي الله عنهم الأثر الكبير فيما أثير حول السنة من شبهات، ولمَ لا ومرويات الصحابة رضي الله عنهم لا تزن عند الشيعة مقدار جناح بعوضة.

---

(١) البداء: هو الزعم بأن الله ﷻ يبدو له غير الذي كان أراده، فيرجع عن إرادته إلى الذي بدا له من بعد؛ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

أساليب الشيعة في العبث بالسنة المطهرة:

تعد الشيعة الرافضة من أكثر الفرق كذبًا على رسول الله ﷺ بل وعلى آل البيت رضي الله عنهم أيضًا. ولقد أخذ هؤلاء المتشيعون أعداءُ الإسلام يصنعون الأحاديث في أغراض شتى حسب أهوائهم ونِحَلهم، فمن ذلك روايات مكذوبة تثبت النبوة لعلى طورًا، والخلافة والوصية بها طورًا آخر على حسب عقائد الوضاعين وآرائهم. وكما وضعوا الأحاديث في فضل عليٍّ وآل البيت، وضعوا الأحاديث في ذم الصحابة؛ وخاصة الشيخين وكبار الصحابة رضي الله عنهم. وكذلك وضعوا الأحاديث في ذم معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما

ويكاد المسلم يقف مذهولًا من هذه الجرأة البالغة على رسول الله ﷺ لولا أن يعلم أن هؤلاء الرافضة أكثرهم من الفرس الذين تستروا بالتشيع لينقُضوا عُرَى الإسلام، أو ممن أسلموا ولم يستطيعوا أن يتخلوا عن كل آثار ديانتهم القديمة، فانتقلوا إلى الإسلام بعقلية وثنية لا يهمها أن تكذب على صاحب الرسالة ﷺ لتؤيد حبًا أو كُرهًا في أعماق أفئدتها، وهكذا يصنع الجهال والأطفال حين يحبون وحين يكرهون.

ومن مكايد الشيعة للسُنَّة ومحاولاتهم العبث بها:

١- إن جماعة من علمائهم اشتغلوا بعلم الحديث أولًا، وسمعوا الأحاديث من ثقات المحدثين من أهل السنة فضلًا عن العوام، ثم وضعوا الأحاديث، ولكن الله سبحانه وتعالى قد تفضل على أهل السنة، فأقام لهم مَن يميز بين الطيب والخبيث، وصحيح الحديث وموضوعه، حتى أنهم لم يَخْفَ عليهم وضْعُ كلمة واحدة من الحديث الطويل.

٢- ومن مكايدهم أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعتبرين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافِقًا لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعى إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته؛ كالسدى فهما رجلان؛ أحدهما السدى الكبير، والثانى السدى الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة، والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضى غالٍ.

٣- ومن مكايدهم أنهم ينسبون بعض الكتب لكبار علماء السنة مشتملة على مطاعن في الصحابة، وبطلان مذهب أهل السنة، وذلك مثل كتاب (سر العالمين) فقد نسبوه إلى أبي حامد الغزالى وشحنوه بالهذيان.

٤- ومن مكايدهم أنهم يذكرون أحد علماء المعتزلة، أو الزيدية أو نحو ذلك، ويقولون: إنه من متعصبى أهل السنة، ثم ينقلون عنه ما يدل على بطلان مذهب أهل السنة، وتأييد مذهب الإمامية الاثني عشرية ترويجًا لضلالهم؛ كالزمخشرى صاحب الكشاف الذي كان معتزليًا، والأخطب الخوارزمى؛ فإنه زيدِيٌّ غالٍ، وابن أبى الحديد شارح "نهج البلاغة" الذي هو من غلاة الشيعة على حد قول، ومن المعتزلة على قول آخر، وهشام الكلبى، وكذلك المسعودى صاحب مروج الذهب، وأبو الفرج الأصفهانى صاحب كتاب "الأغاني" وغيرهم، وقصدوا بذلك إلزام أهل السنة بما لهم من الأقوال، مع أن حالهم لا تخفى حتى على الأطفال.

المعتزلة وموقفهم من السنة النبوية:

المعتزلة: اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في القرن الثانى الهجرى ما بين سنة ١٠٥ وسنة ١١٠هـ بزعامة رجل يسمى واصل بن عطاء، ونشأت هذه الفرقة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر، والمعتزلة: قوم من المتكلمين فَتَنَتْهُم؛ الفلسفةُ اليونانية، والمنطقُ اليونانى، وما نُقل من الفلسفة الهندية، والأدب الفارسى، وقد كانوا كلهم أو جمهورهم ممن ينتمون إلى أصل فارسى فأوَّلوا القرآن الكريم لينسجم مع الفلسفة اليونانية، وكذَّبوا الأحاديث التي لا تتفق مع هذه العقلية اليونانية الوثنية، واعتبروا فلاسفة اليونان أنبياء العقل الذي لا خطأ معه.

وكانوا أول من استعان بالفلسفة اليونانية، واستقوا منها في تأييد نزعاتهم، فأقوال كثيرة من أقوال النَظّام وأبى الهذيل والجاحظ وغيرهم من المعتزلة بعضها نَقْلٌ بحت من أقوال فلاسفة اليونان، وبعضها يستقى من نبعه ويغترف من معينه بشئ من التحوير والتعديل.

والمعتزلة حين حاولت في أول الأمر أن تواجه المتكلمين في الديانات السالفة للإسلام والمذاهب المنحرفة، استطاعت أن تحقق نتائج طيبة، ولكنها حين استقلت بنفسها وخرجت عن حدودها لتقيم لنفسها منهجًا عقلانيًا خالصًا يستعلى على مفهوم الإسلام الجامع؛ فإنها قد انحرفت انحرافًا شديدًا واخطأت خطأ بالغًا، وكان نتيجة طبيعية لتأثرها بشتى الاتجاهات الموجودة في عصرها، ثم أثرت هى الأخرى بعد ذلك في تلك الاتجاهات الفكرية قديمًا، وتأثر بها حديثًا كثير من خصوم الإسلام، وأعداء السنة، حيث وجدوا في مذهبهم الفكرى عشًا يفرخون فيه بمفاسدهم وآرائهم، ويطلقون من قنواته دسهم على الإسلام والسنة النبوية المطهرة.

موقف المعتزلة من السنة المطهرة:

لما كان المعتزلة لا يؤمنون إلا بما يتفق مع عقولهم وأصولهم، وكان هناك من الأحاديث النبوية ما يهدم مذهبهم ويناقض أدلتهم، كان موقفهم من السنة غاية في الخطورة، فقد كادوا يهدمون المصدر الثانى للتشريع الإسلامى، فهم تناقضوا في

موقفهم من السنة ونشأ التناقض بتشبُّثهم بالعقل إلى ما يشبه تقديسه وتأليهه، ورفض ما يتعارض معه أو تأويله بما لا يخالف رأيهم، ولذلك وقعوا في كثير من التناقضات دفعتهم إليها نزعتُهم العقلية.

موقفهم من الخبر المتواتر: درج المعتزلة على مخالفة إجماع الأمة على إفادة المتواتر القطع. فذهب بعضهم إلى إنكار حجية المتواتر وإفادته العلم، وتجويز وقوعه كذبًا.

موقفهم من خبر الآحاد:

وتناقض المعتزلة في حجية خبر الآحاد، فنُقِلَ عن بعضهم جواز التعبد بخبر الواحد عقلًا، ونُقِلَ عن قوم من المعتزلة أنهم قالوا: «لا يجوز العمل به شرعًا».

تناقض المعتزلة في العدد المطلوب لقبول خبر الآحاد:

ومَن قَبِل خبر الآحاد من المعتزلة تناقض في العدد المطلوب لقبوله، وذهب إلى عدم الاحتجاج به في الأعمال إلا بشروط.

فأما تناقضهم في العدد المطلوب لقبوله فنُقِلَ عن بعضهم أنه لا يقبل الخبر إلا إذا رواه أربعة، ونُقِلَ عن بعضهم لا يقبل في الشرعيات أقل من اثنين، ونُقِلَ عن بعضهم أنه يعتبر عدد يزيد عن شهود الزنا. واشترط بعضهم رجلين عن رجلين.

وبعضهم اشترط في قبول الخبر: أن يرويه ثلاثة عن ثلاثة إلى منتهاه، واشترط بعضهم أربعة عن أربعة إلى منتهاه، وبعضهم خمسة عن خمسة إلى منتهاه، وبعضهم سبعة عن سبعة.

أما من ذهب إلى عدم الاحتجاج به في الأعمال إلا بشروط؛ فاشترط:

١- ألا يخالف ظاهر القرآن الكريم، وهو أحد أصولهم، فإذا ورد الحديث مخالفًا لظاهر القرآن الكريم؛ كان دليلًا على عدم صحته حتى مع إمكان الجمع بين هذا التعارض الظاهرى، وهذا الشرط أصل من أصول أهل الزيغ والابتداع من الخوارج والجهمية والجبرية والمعتزلة كما حكاه عنهم الأئمة: ابن قيم الجوزية، والشاطبى، وابن قتيبة وغيرهم.

٢- كما اشترط بعضهم ألا يخالف خبر الآحاد العقل.

٣- كما ذهب فريق الاعتزال إلى أن خبر الآحاد لا يقبل فيما طريقُه الاعتقاد. مع أن حديث الآحاد حجة في العقائد والأحكام، فقد ظلت أحاديث النبي ﷺ محل التسليم والقبول بدءًا من عهد الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وسلف الأمة الأخيار، من غير تفريق بين المتواتر والآحاد، وبين ما يتعلق بأمور المعتقد وما يتعلق بالأحكام العملية.

موقف المعتزلة من الصحابة رضي الله عنهم وأثر ذلك على السنة النبوية:

موقف المعتزلة من الصحابة رضي الله عنهم لا يقل سوءً وخطرًا من موقف الشيعة من الصحابة، فالمعتزلة ما بين شاكّ في عدالة الصحابة، منذ عهد فتنة سيدنا عثمان رضي الله عنه وما بين موقن بفسق إحدى الطائفتين لا بعينها، وما بين موقن بفسقهما معًا، وما بين طاعن في أعلامهم، متهم لهم بالكذب والجهل والكفر والنفاق.

ولا يقف قدْح المعتزلة عند الصحابة فقط، بل يمتد إلى القدح في التابعين رضي الله عنهم وفيمن اتفق الأئمة من المحدثين على عدالتهم وإمامتهم. وربما ردّوا فتاويهم وقبحوها في أسماع العامة لينفروا الأمة عن إتباع السنة وأهلها.

إن أصول المعتزلة على اختلافها كان لها أسوأ الأثر على الإسلام ورواته حيث وقف المعتزلة بأصولهم من الوحي قرآنًا وسنةً، ومن الصحابة موقف التحدى، فإذا بدا خلافٌ في ظاهر النصوص وبين أصولهم أو رأْيٍ لا يرَوْنه أوَّلوا النص بما يخرج عن معناه الحقيقى إلى ما يوافق رأيهم.

ولا يقف خطر أصولهم عند تأويلهم القرآن الكريم مما لم ينزِّل به الله سلطانًا، وإنما كان لهذه الأصول خطرها الأعظم على السنة المطهرة، فما تعارض من الأحاديث الصحيحة مع هذه الأصول، إما يؤولونه تأويلًا يشبه الرد، وإما يصرحون بالرد بحجة

أن الخبر آحاد، والآحاد لا يحتج بها في العقائد[١]، وهم في كل ذلك يتطاولون على رواة السنة ويطعنون فيهم سواء من صحابة رسول الله ﷺ أو من التابعين رضي الله عنهم، فمن بعدهم من أئمة المسلمين.

وفى مواقف المعتزلة من الكتاب والسنة والصحابة، وجد أعداء الإسلام وأعداء السنة المطهرة، ثغرات يلجون منها في الكيد لدين الله عز وجل - قرآنًا وسنة - بما وجدوه من ثروة طائلة من السخافات والمثالب، فصوَّروا الإسلام في صورة الخرافات، وطعنوا بدورهم في أئمة المسلمين وتاريخهم وحضارتهم المجيدة، وقد اغتر بهم الجهَلة في عصرنا الحاضر ونسجوا على منوال أساتذتهم، ورموا علماء المسلمين في كل عصر بكل نقيصة وبهتان، والله يشهد إنهم لكاذبون.

فالمستشرقون، ودعاة التغريب، واللادينية، وهم يهاجمون السنة اليوم، ويثيرون حولها الشبهات اهتموا بالاعتزال والمعتزلة، لأنهم وجدوا فيهم منهجًا له أثره في إفساد الفكر الإسلامى على العموم، وإبطال حُجِّيَّة السنة وتعطيلها على الخصوص، ويبدو هذا واضحًا في إحيائهم للفكر الاعتزالى والثناء عليه، ووصفهم للمعتزلة بأنهم أغارقة الإسلام الحقيقيون، أو وصْفهم بالمعتزلة العظام، أو المفكرون الأحرار في الإسلام.

واستغل ذلك التأثر بعض أعداء الإسلام، وأعداء السنة المطهرة، في دعوتهم الباطلة، وصبغها صبغة شرعية وذلك بالاستشهاد بأقوال رواد تلك المدرسة، والزعم بأن منهجهم العقلى المعتزلى، هو المنهج الحق، وربما ادَّعوا بأنه منهج سلفنا الصالح.

---

(١) القضية مع المعتزلة في العقائد ليست قضية متواتر وآحاد، وإنما قضية أصولهم؛ فهى - عندهم - الأصل، والقرآن والسنة الفرع، بدليل تأويلهم لآيات القرآن والأحاديث المتواترة في العقائد لتعارضها مع أصولهم، ولو صدَقوا في دعواهم بأن الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد، فلماذا يؤوِّلون الآياتِ المتواترة في العقائد تأويلًا أشبه بالرد؟

من الفِرَق إلى السُنّة الجامعة:

منذ اليوم الأول لظهور حركة المؤامرة على الإسلام في القرن الأول للهجرة قامت المواجهة الصادقة والمعارضة الصريحة على يد أهل السنة والجماعة، كما قال محمد بن سيرين رحمه الله: «لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ، فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلاَ يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ» (رَوَاهُ مُسْلِمٌ في المقدمة).

ومنذ ذلك اليوم وكانت المواجهة بين أهل السنة وأهل البدع والأهواء، واستطاعت السنة كشْف زيْفهم ونقص شبهاتهم وبيّنت بالدليل أنها حركة معادية لها تلتمس في محيط المجتمع الإسلامى خيوطًا لتدميرها كمقدمة لتدمير النظام الإسلامى نفسه، كما بيَّنت السنة الصلة الوثيقة بين أهل البدع وأعداء الإسلام من اليهودية، والنصرانية، والمجوسية وغيرهم ممن تطلعوا إلى هدم الإسلام عن طريق فكره بعد أن عجزوا عن هدمه عن طريق دولته:

أولًا: أنكرت السنة التشبيه والتعطيل وكشفت عن أن المشبهة وثنية والمعطلين ملحدون وتعقبت في نفس الوقت الملحدين والوثنيين وكشفت عنهم.

ثانيًا: عارضت السنة إخضاع الإسلام للجدل العقلى ودعت إلى التماس المعين الأول والمنبع الأصيل "القرآن والسنة".

ثالثًا: كشفت السنة عن فساد إلهيات أرسطو؛ لأن مقدماتها ونتائجها معارِضة أشد المعارَضة لمفهوم التوحيد الخالص، وأبانت أن العقائد مرجعها إلى الكتاب والسنة.

رابعًا: قاومت السنة الاتجاه الزائف نحو القول بوحدة الوجود أو الحلول أو الاتحاد كما قاومت انحرافات الخوارج والشيعة والمعتزلة والمتكلمين والفلاسفة والصوفية فالتقت كل هذه القطاعات في مفهوم جامع.

خامسًا: كشفت السنة عن أن الفكر الفلسفى لتلك الفرق لا يمكن أن يكون أساسًا للفكر الإسلامى، ذلك أن هناك مجموعة من الحقائق الأولية لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الوحى والنبوة، وبيَّنت أن الفلسفة ليست قرينة الوحى ولا مناظرة

له فهى لا تزيد عن كونها استخدامًا للعقل، وهى في أحسن صورها تعمل على أن تعصم الذهن من الخطأ في الاستنباط والبرهان.

سادسًا: أصبحت السنة هى البوتقة التي انصهرت فيها كل الثقافات فهى بمثابة النهر الكبير والمذاهب والفرق روافد، وخير ما في هذه الروافد انصهر في مفهوم جامع للأصالة الإسلامية وصب في النهر الكبير.

سابعًا: كشَف رجال الأصالة الإسلامية (السنة) أن النزعة العقلية التي دافع عنها المعتزلة كادت تخنق العقيدة وأنها حوَّلتْها من يُسرها وبساطتها إلى مذهب فلسفى معقد بعيد عن روح الإسلام، وكانت أخطاء المعتزلة: تحكيم العقل في الوحى، وإعلاء العقل على الوحى.

ثامنًا: استطاع مفهوم السنة، وهو مفهوم الأصالة الإسلامية الجامع أن يقضى على الغلو في كل تلك الفرق وبذلك تَعيّن أن السنة ليست مذهبًا معينًا بين المذاهب وليست طرفًا من الأطراف بل هى الحكم بين الأطراف، فأهل السنة لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه، فكل حق مع طائفة من الطوائف يوافقونهم فيه، وهم بَراءٌ من باطلهم، فهم حكام بين الطوائف لا يعاملون بدعة ببدعة ولا يرمون باطلًا بباطل، ولا يحملهم شنآن قوم ألا يعدلوا فيهم، بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مغالاتهم بالعدل. إن السنة المطهرة هى مدرسة الأصالة الإسلامية التي تجمع خير ما في الفرق وتحكم بينها وترتفع عن الخلاف حول الأفراد والأشخاص، وتقرر أن هذا الخلاف هو الذي أفسد المفاهيم الإسلامية.

أعداء السنة النبوية من المستشرقين:

الاستشراق: هو علم الشرق أو علم العالم الشرقى وهو تعبير أطلقه الغربيون على الدراسات المتعلقة بالشرقيين شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلادهم، وأرضهم، وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم. وهذا معنى عام للاستشراق.

وهناك معنى خاص كان هدفهم الأساسى وهو: دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية لخدمة أغراض التبشير من جهة، وخدمة أغراض الاستعمار الغربى لبلدان المسلمين من جهة أخرى، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية.

وهذا المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق هو الذي يعنينا، وهو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربى الإسلامى عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضًا في كتابات المستشرقين المعنيين.

والمستشرقون: هم الذين يقومون بهذه الدارسات من غير الشرقيين، ويقدمون الدراسات اللازمة للمبشرين، بغية تحقيق أهداف التبشير، وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار.

ومع الدراسات الاستشراقية الموجهة لأغراض التبشير والاستعمار، قام بعض محبي العلم بدراسات استشراقية حيادية غير موجهة، وكان من بعض هؤلاء إنصاف للحقيقة وبعض هؤلاء المنصفين تأثر بالإسلام وبالحضارة الإسلامية فأسلم.

ومما لا شك فيه أن الاستشراق كان له أكبر الأثر في صياغة التصورات الأوربية عن الإسلام وأمته، وفى تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى قرون عديدة وحتى يومنا هذا.

والاستشراق من تعريفه الخاص السابق، موقف عقائدى وفكري معادٍ للإسلام يقِفه الكافرون بهذا الدين بوجه عام، وبعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى بوجه خاص. وهذا الموقف - في جوهره النابع من العداوة في العقيدة -

ليس بجديد وإنما هو امتداد لموقف أسلافهم الكافرين بالإسلام من المشركين وأهل الكتاب - منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم: وهو موقف الإنكار للرسالة، والتكذيب للرسول ﷺ، وإثارة الشبهات حول الإسلام وحول القرآن والرسول ﷺ وسنته المطهرة بوجه خاص، لتشكيك المسلمين في دينهم، ومحاولة رَدِّهم عنه.

وقد تختلف وسائل المشركين ووسائل أهل الكتاب، ولكنهم - في نهاية المطاف - يلتقون حول الهدف: وهو محاولة منع الخير - وهو الإسلام - عن المسلمين، ومحاولة ردهم عنه كما قال الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(البقرة: ١٠٥). وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴾(البقرة: ١٠٩).

منهج المستشرقين في دراسة الإسلام:

قبل أن التعرف على موقف المستشرقين من السنة النبوية المطهرة يجدر بنا أن نتعرف أولًا على منهجهم في دراستهم الاستشراقية للإسلام، فبمعرفة هذا المنهج نقف على أثره في نظرتهم للإسلام، وللسنة النبوية المطهرة ونحن كثيرًا ما نسمع المستشرقين يكثرون من القول: إن التحقيق والموضوعية والتحرر منهجهم في كل ما يبحثون لا فرق في ذلك عندهم بين عدو وصديق أو بين قريب وبعيد، ويكثرون من القول أيضًا: أنهم يدرسون العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ...

هكذا يَدَّعُون! والحق أنهم بعيدون كل البعد عن البحث العلمى النزيه ولا يمتون إليه بصلة، ويستوى في هذا سائر المدارس الاستشراقية.

فكيف يكون منهج الاستشراق اللاهوتى الوليد من عصبية وحقد النصارى للإسلام ولأمتنا الإسلامية - كيف يكون نزيهًا ومحايدًا في دراسته للإسلام؟! وحتى بعد تطوره في العصر الحديث إلى استشراق علمانى استعمارى لم يتخل عن العصبية

الدينية، وإن لم تطْغَ هذه العصبية طغيانها قديمًا، فهو استشراق استعمارى طامعٌ في خيرات هذه الأمة حاقدٌ عليها ولا أمل له في السيطرة على هذه الأمة إلا بإضعاف عقيدتها بدينها وبتاريخها وحضارتها ولا يكون ذلك إلا بالاستشراق اللاهوتى التبشيرى.

وكذلك حال الاستشراق اليهودى في منهجه، كانت تحركه نزعتين:

- إحداهما دينية: تحمل أشد العداوة والحقد للإسلام والمسلمين.
- وثانيهما سياسية: تحمل في داخلها حلم إعادة مملكة داود عليه السلام في فلسطين وحكم العالم أجمع.

والبحث العلمى النزيه لا صلة له إطلاقًا بما يكتبون عن الإسلام والمسلمين؛ لأنهم وهم يكتبون لا يتخلون أبدًا عن أهوائهم وحقدهم الدفين ضد الإسلام ونبيهe ، وأمته التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، وحتى لو فرضنا أن هذا لا يكون في نفوس بعضهم حين يكتبون عن الإسلام، فإنه مما لا شك فيه يكون في نفوسهم الطمع في خيرات هذه الأمة وهذا يحملهم أيضًا على التحامل على الإسلام.

والمستشرقون في كتاباتهم عن الإسلام لن يتخلوا أبدًا عن هاتين النزعتين الدينية والاستعمارية، لأن التحول عنهما، إنما يعنى التحول إلى الإسلام، وهذا التحول إلى الإسلام يعنى في الوقت نفسه التحول عن الاستشراق وأهدافه الخبيثة، وهذا ما حدث بالفعل لبعض المستشرقين ممن أكرمهم رب العزة بالإسلام وهداهم إليه. وصدق رب العزة في بيان سبب عدم تخليهم عن نزعتهم الدينية سواء يهودية أو نصرانية في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾(الحج: ٥٥).

فالسبب أنهم أبدًا وإلى أن تقوم الساعة في شك من هذا الدين ومن نبوة المصطفى ﷺ وهم دائمًا في موقف الحذر منه والتربص به. ومهما حدث من أمور

يُظهِرون من خلالها التودد والمجاملة، إلا أن ذلك يُخفِي حقيقةً في قلوبهم لا يريدون إظهارها ففِعْلهم في واد، وقلوبهم في واد آخر.

وإذا كان هناك من رضًا متوقع، فلن يكون إلا في حين اتباع ملتهم، والسير خلفهم، وعدم مخالفتهم فيما يفعلون أو يكتبون من خرافات وأساطير عن الإسلام أما دون ذلك فلا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾(البقرة: ١٢٠). وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾(النساء: ٨٩). فالولاء الوحيد في قلوب هؤلاء؛ إنما هو لدينهم ولمصلحتهم لا للإسلام ولا للمسلمين كما قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(الأنفال: ٧٣).

وإذا كان هؤلاء المستشرقون صادقين في ادعائهم الموضوعية والحيدة فيما يكتبون، فنحن نطلب منهم أن يلتزموا بأوَّليّات بديهية يتطلبها المنهج العلمى السليم فعندما أرفض وجهة نظر معينة لابد أن أبين للقارئ أولًا وجهة النظر هذه من خلال فهم أصحابها لها ثم لى بعد ذلك أن أوافقها أو أخالفها. وعلى هذا الأساس نقول عندما يكتب عن الإسلام: إن الكيان الإسلامى كله يقوم على أساس الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ الذي تلقى القرآن وحيًا من عند الله. ويجب على العالم النزيه والمؤرخ المحايد أن يقول ذلك لقُرائه عندما يتعرض للحديث عن الإسلام حتى يستطيع القارئ أن يفهم سر قوة هذا الإيمان في تاريخ المسلمين.

ثم له بعد ذلك أن يخالف المسلمين في معتقداتهم وتصوراتهم أو يوافقهم؛ غير أن هذا المنهج المنطقى والطبيعى قلما يُتَّبع مع الأسف، ويتبعون بدلًا منه منهجهم القائم على ما يلى:

١- تحليل الإسلام ودراسته بعقلية أوروبية، فهم حكموا على الإسلام معتمدين على القيم والمقاييس الغربية المستمدة من الفهم القاصر والمحدود والمغلوط الذي يجهل حقيقة الإسلام.

٢- تبييت فكرة مسبقة ثم اللجوء إلى النصوص واصطيادها لإثبات تلك الفكرة واستبعاد ما يخالفها، وذلك منهج معكوس وليد الهوى.

٣- اعتمادهم على الضعيف، والشاذ من الأخبار، وغض الطرف عما هو صحيح وثابت منها.

٤- تحريف النصوص، ونقلها نقلًا مشوهًا، وعرضها عرضًا مبتورًا، وإساءة فهم ما لا يجدون سبيلًا لتحريفه.

٥- غربتهم عن العربية والإسلام منحتهم عدم الدقة والفكر المستوعب في البحث الموضوعى، حتى ولو اختص أحدهم بأمر واحد من أمور الإسلام طيلة حياته.

٦- تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلًا من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ويصححون ما ينقله (الدميرى) في كتاب "الحيوان" ويكذِّبون ما يرويه "مالك" في "الموطأ" كل ذلك انسياقًا مع الهوى، وانحرافًا عن الحق.

٧- إبراز الجوانب الضعيفة، والمعقدة، والمتضاربة، كالخلاف بين الفرق، وإحياء الشُبَه، وكل ما يفرق، وإخفاء الجوانب الإيجابية والصحيحة وتجاهلها.

٨- الاستنتاجات الخاطئة والوهمية وليدة التعصب، وجعلها أحكامًا ثابتة يؤكدها أحدهم المرة تلو المرة، ويجتمعون عليها حتى تكاد تكون يقينًا عندهم.

٩- النظرة العقلية المادية البحتة التي تعجز عن التعامل مع الحقائق الروحية.

١٠- تفسير سلوك المسلمين، أفرادًا وجماعات بأنه مدفوع بأغراض شخصية، ونوازع نفسية دنيوية، وليس أثرًا لدافع ابتغاء مرضاة الله والدار الآخرة.

وهذا المنهج في دراسة الإسلام ونبيه ﷺ، وأمته وتاريخهم المجيد يبدو واضحًا في وسائلهم للكيد للسنة النبوية المطهرة. ونتيجة لهذا المنهج نشروا صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين، وزعموا كذبًا أن هذه الصورة الفاضحة هى صورة الإسلام والمسلمين التي يعتقدونها ويعيشونها قديمًا وحديثًا، واقتنع بها أبناء جلدتهم،

وبعض من أبناء جلدتنا ممن يجهلون دينهم، أو يرغبون في الشهرة، أو مخدوعين بما يدعيه أولئك الأعداء من المنهج العلمى المزعوم، مما جعلهم يصدقون كل ما يكتبه المستشرقون عن الإسلام، بل يعجبون به ويتعصبون له في كثير من الأحيان.

تُرى لو استعمل المسلمون معايير النقد العلمى التي يستعملها المستشرقون في نقد القرآن والسنة وتاريخنا، في نقد كتبهم المقدسة [١]، وعلومهم الموروثة، ماذا يبقى لهذه الكتب المقدسة والعلوم التاريخية عندهم من قوة؟ وماذا يكون فيها من ثبوت؟ نعم سنخرج بنتيجة من الشك وسوء الظن أكبر بكثير مما يخرج به المستشرقون بالنسبة إلى مصادر ديننا وحضارتنا وعظمائنا فحضارتهم مهلهلة رثة الثياب، ورجال هذه الحضارة من علماء وسياسيين وأدباء يبدون في صورة باهتة اللون لا أثر فيها لكرامة ولا خلق ولا ضمير.

لو فعلنا ذلك كما يفعلون لرأوا كيف عاد هذا المنهج الذي زعموا أنهم يستخدمونه لمعرفة (الحقيقة) في ديننا وتاريخنا، وبالًا عليهم، لعلهم يخجلون - بعدئذ - من استمرارهم في التحريف والتضليل والهدم.

إن الاستشراق - من بين شتى العلوم الأخرى - لم يطور كثيرًا في أساليبه ومناهجه. وفى دراسته للإسلام لم يستطع أن يحرر نفسه تمامًا من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتى العقيم الذي انبثق منه الاستشراق أساسًا.

إن الاستشراق في دراسته للديانات الوضعية مثل البوذية والهندوسية وغيرها غالبًا ما تكون دراسات موضوعية بعيدة عن أى تجريح، ولكن الإسلام وحده من بين كل الأديان هو الذي يتعرض للنقد والتجريح والمحاربة على الرغم من أنه دين يؤمن

---

(١) أي الكتب المقدسة عند المستشرقين، كالعهد القديم (التوراة التي حرفوها)، والعهد الجديد (الإنجيل الذي حرفوه).

بالله ويؤمن بموسى، وعيسى، ويرفعهما فوق النقد بوصفهما من أنبياء الله عليهما السلام. والمسلمون فقط من بين الشرقيين جميعًا هم الذين يوصفون بشتى الأوصاف الدنيئة.

إن الإسلام الذي يعرضه هؤلاء المستشرقون - المتحاملون على الإسلام - في كتبهم هو إسلام من اختراعهم، وهو بالطبع ليس الإسلام الذي ندين به، كما أن النبي محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم الذي يصورونه في مؤلفاتهم ليس هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي نؤمن برسالته، وإنما هو شخص آخر من نسيج خيالهم.

وهكذا يمكن القول بأن الاستشراق في دراسته للإسلام، ليس عِلمًا بأى مقياس علمي، وإنما هو عبارة عن أيديولوجية خاصة يُراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات.

إن الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث، وهى أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتحرر، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه.

وهذه الشدة في حق جمهور المستشرقين المحرفين والمضللين أمثال "جولد تسيهر"، لا تغمط غيرهم من المنصفين حقهم ممن درسوا الإسلام بموضوعية ونزاهة علمية وأنصفوه وأنصفوا أهله وأدى الأمر ببعضهم إلى اعتناق الإسلام.

ولكن هؤلاء أيضًا سواء من أنصف الإسلام منهم ظاهرًا أو حتى ممن كانوا مسلمين لا يجوز الاغترار بإنصافهم هذا ولا الاعتماد في فهم ديننا على ما يكتبون، فكثير منهم دَسَّ السّمّ في الدسم، وبعضهم أسلم ثم ارتد بعدما أدى الدور الذي كان مطلوبًا منه.

المستشرقون وموقفهم من السنة النبوية:

أدرك المستشرقون أهمية السنة النبوية بالنسبة للإسلام عمومًا والقرآن الكريم خصوصًا، وأنه بالتشكيك والنيْل منها نيْل من القرآن الكريم بل من الإسلام نفسه. يقول المبشر الأمريكى (جب): «إن الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على

القرآن الكريم، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيءٌ، وصار شبه صبيرة [١] طومسون، وطومسون هذا رجل أمريكى، جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء»[٢].

وأول مستشرق قام بمحاولة واسعة شاملة للتشكيك في الحديث النبوى كان المستشرق اليهودى "جولد تسيهر" الذي يعده المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوى، كما وصفه بذلك "بفانموللر" وقال: «وبالأحرى كان "جولد تسيهر" يعتبر القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة لتطور الإسلام الدينى والتاريخى والاجتماعى في القرن الأول والثانى. فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول: عدا طفولته، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامى في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام».

كما بارك جولدتسيهر موقف المعتزلة من السنة النبوية، ورأى أن وجهتهم في رد الأحاديث بالعقل هى الوجهة الصحيحة التي يجب أن تناصر وتؤيد ضد المتشددين الحرفيين الجامدين على النصوص.

وعلى درب "جولد تسيهر" في موقفه من السنة صار المستشرقون ورددوا شبهاته واعتبروا أنفسهم مدينين له فيما كتبه من شبهات حول السنة. وفى هذا يقول عنه كاتب مادة (الحديث) في دائرة المعارف الإسلامية: «إن العلم مدين دينًا كبيرًا لما كتبه (جولد تسيهر) في موضوع الحديث، وقد كان تأثير "جولد تسيهر" على مسار الدراسات الإسلامية الاستشراقية أعظم مما كان لأى من معاصريه من المستشرقين فقد حدد تحديدًا حاسمًا اتجاه وتطور البحث في هذه الدراسات»[٣].

---

(١) الصَّبيرة: رقاقة عريضة من الخبز تُبسَط تحت الطعام وقت الأكل.

(٢) التبشير والاستعمار، للدكتور مصطفى خالد والدكتور عمر فروخ، ص ٩٨.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ص٢٣١، وانظر: الاستشراق للدكتور محمود حمدى زقزوق ص١٢٢، ١٢٣.

الموقف من الحركة الاستشراقية والمستشرقين:

إذا كان للحركة الاستشراقية أثر كبير في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في العالم العربى، وأثر أخطر في أجيال من أبناء جلدتنا ممن وقعوا في شباكهم؛ ففسدت عقائدهم وعملوا على إفساد عقائد المسلمين، من أجل هذا كان لابد وأن يكون للمسلمين موقف من هذه الحركة الاستشراقية، ومن أنصارها الذين تعصبوا لها وخدعوا بما زعمه أعداء الإسلام من التزامهم الموضوعية في الكتابة، وصدقوا ما كتبوه من أباطيل ضد الإسلام، واعتمدوا على مؤلفاتهم في كتاباتهم عن الإسلام في التفسير، أو الحديث، أو السيرة، أو التاريخ ... إلخ. وراجت مؤلفات هؤلاء الأنصار بين شباب المسلمين مع ما فيها من دسائس، ودس للسم في العسل.

فلا يجوز أن يعتمد المسلمون في فهم دينهم على كتب المستشرقين مهما قيل في مدحهم والثناء عليهم، والإشادة بحيادهم. نعم، قد نلقى بعضهم منصفًا معتدلًا غير متحامل ولا متعصب، ولكنه شاذ لا يقاس عليه. وإن كانت معظم كتاباتهم المعتدلة تتركز في تاريخ العلوم التجريبية عند المسلمين، وأثر المسلمين في هذا المجال لا ينازع فيه إلا مكابر، وهم في هذا لم يأتوا بجديد غير إحقاق الحق، ومن هذا القبيل كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" للمستشرقة الألمانية زغريد هونكة.

أما العلوم الشرعية؛ فلا نكاد نجد لها منصفًا لخطورتها، وأهميتها في حياة الإنسان، ولأن العلوم الشرعية هذه مرتبطة برسالة الإسلام، الدعوة العالمية للتوحيد، وإقامة منهج الله ﷻ على الأرض، وهذا بلا ريب يهدد معاقل الشرك والوثنية أينما كانت، فلا عجب حينئذ أن ينتشر جنود إبليس للتصدى لهذه الدعوة، والنَّيْل منها بكل وسائل التسفيه والتشكيك.

وكتب المستشرقين التي مدحوا من أجلها. إما مصنفات مستقلة عبارة عن بحوث ودراسات، تتعلق بالحضارة الإسلامية، والفقه الإسلامى، وتاريخ الأدب العربى، وتاريخ الحديث الشريف وغيرها. وهذه مصنفات طافحة بالدس والتشويه، وهى منحرفة كليًا عن منهج البحث السديد.

وإما مصنفات مبنية على مصنفات أخرى كفهارس القرآن الكريم، وفهارس كتب الحديث؛ فهى جهود محمودة، ولكنها غير إبداعية؛ لأنهم مسبوقون إليها من أئمتنا المتقدمين رضي الله عنهم وهذا لا يعنى انتقاص قيمة هذا العمل، فهو حقًا عمل رائع، ولكنه نال من الثناء أكثر مما يستحق، لأنه لو قام به جماعة من المسلمين في نفس الظروف التي أُنجز فيها هذا العمل الكبير لأتوا بمثله أو أحسن منه، ولنا في الأعمال الفردية التي قام بها بعض علمائنا الأجلاء قديمًا وحديثًا خير دليل على ذلك.

وأما عملهم في تحقيق كتب التراث؛ فهو أيضًا نال من المديح أكثر مما يستحق، فهم منذ بدأوا جريمتهم بسرقة المخطوطات الإسلامية من الشرق بدءًا منذ عام ١٣١١م واستولوا على كل المخطوطات الموجودة في المساجد والزوايا، حتى جمع أحد الرهبان (زانسى) ستة آلاف مخطوط من الشرق نقلها إلى ميلانو، وتوالت بعثات الاستعمار والفاتيكان إلى العالم الإسلامى لجمع المخطوطات، كان هدفهم هو "حبس التراث الإسلامى في مكتبات الغرب واتخاذه سلاحًا ضد المسلمين، فهم يبرزون الكتب التي تثير الفتن والنزاع بكل صوره الفكرى والمذهبى والسياسى؛ ككتب الفرق، والخلاعة، والمجون، والتصوف الفلسفى، ويخفون كتب العلوم، فيأخذون نظرياتها، وينسبونها إلى أنفسهم وعلمائهم، ويحرمون أصحابها منها.

ومعظم الكتب التي حققها المستشرقون وأعادوا كتابتها كانت تستهدف إذاعة آراء معينة وتيارات مضللة تفقدنا الثقة بعقيدتنا وماضينا، وحضارتنا، وقادتنا، ولذلك فإنه لا يمكن القول بأن هذه الكتب قد طبعت، أو حققت لخدمة الأدب العربى، أو اللغة العربية، ومن هذه الكتب: ألف ليلة وليلة، والأغانى، وأخبار الحلاج، ورسائل إخوان الصفا ... إلخ.

وليس معنى هذا تسفيه كل جهودهم في تحقيق كتب التراث، فالإنصاف يقتضى ألا نغمط الناس حقهم، على أن لا نقوم بتمجيدهم صباح مساء كما يفعل المستغربون من أبناء أمتنا ظنًا منهم أنه عمل في قمة التفوق والإبداع، غير مسبوقين فيه، على ألا يغيب عن ذهننا أنهم ما صنعوا فهارس القرآن الكريم، وفهارس كتب الحديث،

وحققوا كتب التراث؛ إلا إطفاءً لنور الإسلام [١] ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون. وصدق ربنا عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٦).

وحسبنا دليلًا على عدم الاعتماد في فهم ديننا على كتب المستشرقين؛ أنهم ليسوا من أهل العدالة والتى على رأس شروطها الإسلام. وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (الحجرات: ٦). فإذا كان خبر المسلم الفاسق مردود على صحة اعتقاده، فخبر الكافر من المستشرقين أَوْلَى بالرد.

وحسبنا أيضًا دليلًا على عدم الاعتماد في فهم ديننا وتاريخنا على كتب المستشرقين، أن المعتدل منهم وإن كان ظاهره الإنصاف للإسلام والمسلمين في العلوم الشرعية؛ فقد دس السم في الدسم. والدسم هنا هو باب التقدير والثناء والمدح، يدخل من هذا الباب وهو يكتب عن الإسلام ونبيه ﷺ حتى يخدع القارئ ويكسب ثقته، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يثير شبهات خفية متتالية في إطار هذا المديح الكاذب، كل ذلك دون منهج موضوعى يتحرر فيه من أهوائه ورواسبه الموروثة ويلتزم فيه النقد التقويمي ونزاهة البحث، وهذا أسلوب جديد حرص عليه المستشرقون في هجومهم على الإسلام بعدما تبين لهم فشل أو ضعف تأثير الهجوم على الإسلام ومصادره بعنف دون مواربة أو حيلة.

فالواجب يقتضى من المسلم أن يحذر السير وراء أقوال معسولة، وآراء مغرية، ومواقف خادعة، يمكن أن تخدع عقول البسطاء من المسلمين، وتؤثر على اقتناعهم بأن

---

(١) فالمستشرق "فنسنك" مؤلف "مفتاح كنوز السنة" و"المعجم المفهرس لألفاظ الحديث" بالاشتراك، ورئيس دائرة المعارف الإسلامية. يعد عدوًّا لدودًا للإسلام ونبيه ﷺ.

المستشرقين يمدحون الإسلام، أو يمدحون النبي ﷺ، ويثنون على صفاته، ويعدون شخصيته ﷺ في مقدمة المصلحين وعباقرة العالم، فقد تظاهر بعضهم بالإسلام وتزيا بزي العلماء حين زار العالم الإسلامى كما فعل صنمهم الأكبر "جولد تسيهر" اليهودى المجرى، و"سنوك هرجونيه" المستشرق الهولندى، وتقدم آخرون ببحوث مجمعية لينخرطوا بين المجمعيين، فتصبح آراؤهم موضع القبول والرضا، وأثبتت الدراسات أن ربع أعضاء المجامع العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد وبيروت من هؤلاء المستشرقين.

إن الفساد العقائدى الذي نشره (لوى ماسينون) حول القرآن، وما كتبه "جولد تسيهر" و "شاخت" وغيرهم عن السنة المطهرة لا تزال آثاره ماثلة للعيان.

فلا يفرح مسلم بثناء مستشرق على الإسلام أو الرسول ﷺ، ويعد هذا كسبًا للعلم والتاريخ، فإن هذا قد يكون مرحلة من مراحل التغريب في العقيدة والفكر، وأسلوبًا من أساليب المكر والخديعة.

إن من الواجب على المسلمين أن يدركوا إدراكًا واضحًا أن البحوث الإسلامية التي يكتبها المستشرقون هى بحوث موجهة ضد الإسلام والمسلمين، فتمجيد الإسلام في كتب المستشرقين يقصد به خلق جوٍ من الاطمئنان إلى نزاهة الفكر الغربى من ناحية، ومقابلة هذه المجاملة من جانب المستشرقين بمجاملة مثلها من جانب المسلمين للقيم الغربية، ويقصد بذلك أيضًا أن يقوم تفاهم بين الشرق والغرب، ودعوة الباحثين من المسلمين في مؤتمراتهم، وفى غيرها من الكتب والبحوث الإسلامية، بقصد المعاونة في تحقيق التقارب بين الثقافتين، ومزج إحداهما بالأخرى، وبالطبع مزج الفكر الفلسفى اليونانى الغربي بالفكر الإسلامي العربي، والنتيجة الطبيعية لهذا المزج الخروج بفكر منحرف مجافٍ لإسلامنا وحضارتنا تمامًا كما حدث مع أصحاب الفرق من المعتزلة والمتكلمين وغيرهم ممن تأثروا بالفكر الفلسفى اليوناني والفارسي والهندي، وخرجوا بأصول ومناهج كان لها أثرها السئ فيما أثير حول السنة من شبهات.

فكثير من المستشرقين المعتدلين لم تكن كتاباتهم إنصافًا للإسلام والمسلمين، وإنما مرحلة جديدة من مراحل تغريب الأمة الإسلامية في عقيدتها وفكرها بأسلوب ماكر خبيث ينخدع به المفتونون بهم.

فلو أخذنا مثلًا "كارل بروكلمان" في كتابيه "تاريخ الأدب العربى" و "تاريخ الشعوب الإسلامية" وهما من المراجع المهمة عند كثير من المتخصصين بعلم التاريخ؛ لأنهما في نظرهم من المراجع الهامة التي أدت ولازالت تؤدى خدمات جليلة للباحثين في شتى مجالات العلوم العربية والإسلامية. لو قرأنا بإمعان هذين الكتابين واللذين هما في نظر المنتصرين للمستشرقين من المراجع الهامة في التعريف بإسلامنا وتاريخنا، وصاحبه من المعتدلين، لرأينا أن صاحبه صليبيٌّ، حاقد على الإسلام والمسلمين، وقد تجاوز كل حد في شططه عن الحق وإعراضه عن الصواب، وبعده عن الموضوعية والتحرر، ولم يترك مركبًا للدس والتضليل إلا امتطاه، وذلك بترديده أقوال من سبقه من المستشرقين، ولكن بأسلوب ماكر دس فيه السم بالدسم. في كل ما كتبه عن القرآن الكريم والسنة المطهرة والنبى ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم.

فكارل بروكلمان وهو يتحدث عن نبوة محمد ﷺ، يُردد أكاذيب وأباطيل سلفه من اليهود والنصارى فيقول: «وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد» (١).

وعن الوحى يردد أكاذيب سلفه؛ بأنه وحى نفسى قائلًا: «لقد تحقق عنده – أى عند الرسول ﷺ – أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج في أعماق نفسه هذا السؤال: إلى متى يمدهم الله في ضلالهم، ما دام هو عز وجل قد تجلى، آخر الأمر،

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٤.

للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟! وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة» (١).

ولا ننسى المستشرق "موريس بوكاى" في كتابه: "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة"، فشهادته بصدق القرآن بقوله: «إن القرآن لا يحتوى على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث» (٢)، وعلى الرغم من أن كلامه على القرآن الكريم لا يسلم من المآخذ، إلا أننا نراه في موقفه من السنة المطهرة يردّد أقوال من سبقه من المستشرقين مشككًا في صحة نقلها وحجيتها، كقوله: «فقد كتبت أولى الأحاديث بعد عشرات من السنوات من موت محمد مثلما كتبت الأناجيل بعد عشرات السنوات من انصراف المسيح، إذن فالأحاديث والأناجيل شهادات بأفعال مضت» (٣). ثم وصفه لكلام النبي ﷺ بأنه كلام بشر قد يخطئ ويصيب(٤)، وأن هناك مبادئ للقرآن صريحة في الأمر دائمًا بالرجوع إلى العلم والعقل في الحكم على الأحاديث (٥).

إلى غير هؤلاء من المستشرقين الذين وصفوا بإنصاف الإسلام ونبيه ﷺ؛ لأنهم وصفوه ومجدوه بالعبقرية، وبأن دعوته حركة إنسانية إصلاحية، وانخدع بذلك بعض المسلمين غافلين عن السم الذي وراء هذا الدسم (الثناء والمدح)، وهو تجريد النبي ﷺ من النبوة، ومن مزية أن القرآن الكريم والسنة النبوية وحيٌ من عند الله ﷻ وأن رسالته ﷺ ربانية صالحة لكل زمان ومكان إلى يوم الدين، وليست حركة إصلاحية إنسانية لم تعد صالحة في عصرنا هذا، كما يهدف أعداء الإسلام ومن اغتر بهم.

---

(١) المصدر السابق، ص٣٦.

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ١٥، ١٦.

(٣) دراسة الكتب المقدسة ص ١٣، ١٥٦، ١٥٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٨، ٣٠٢..

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٩.

(٥) المصدر نفسه ص ١٤.

فلا يجوز الاعتماد فيما نكتبه عن الإسلام على أقوال المستشرقين ولو كانوا مسلمين وذلك للأسباب التالية:

١- ثبت أن نفرًا منهم: أسلم خلال وجوده في بلدان العالم الإسلامى لغاية في نفوسهم، وارتدوا عن الإسلام عندما عادوا إلى أوطانهم وأدوا الدور الذي كان مطلوبًا منهم.

٢- وبعضهم: كان متخصصًا في العلوم الفلسفية، واطلع خلال بحثه على مؤلفات ابن عربي وغيره من غلاة الصوفية الذين يؤمنون بالحلول، ووحدة الوجود، أو اطلع على مؤلفات الشيعة والمعتزلة والمتكلمين وباقى الفرق المنتسبة إلى الإسلام، ثم راحوا يكتبون عن الإسلام من خلال تلك الفرق التي أشْرِبوا حبها ووصفوها بأنها صاحبة فكر عقلى ثورى تحررى - مع خروج غلاتها عن الإسلام.

٣- وآخرون منهم: مزجوا بين الإسلام وعادات وتقاليد الغربيين، وهذا المزيج المشوه أسموه إسلامًا، ومن سلم من هذه الانحرافات من المستشرقين لا يستطيع الكتابة بعمق وشمولية عن العقائد الإسلامية أو غيرها من بقية العلوم والمعارف الإسلامية.

٤- هذا بالإضافة إلى جهل معظمهم باللغة العربية ولأبعادها ومراميها، بل إن بعضهم كان لا يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية من أمثال "سلفتردى ساس"، و"أليس عرينان" و"جيراردمتر".

يقول الدكتور السباعى: «وفى جامعة أكسفورد وجدنا رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية فيها يهوديًا يتكلم العربية ببطء وصعوبة، وكان أيضًا يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية، وهناك تعلم العربية، وتلك هى مؤهلاته التي بوَّأتْه هذا القسم، ومن العجيب أنى رأيت في منهاج دراساته التي يلقيها على طلاب الاستشراق: تفسير آيات من القرآن الكريم من الكشاف للزمخشرى "أى والله وهو لا يحسن فهم عبارة بسيطة في جريدة عادية" ودراسة أحاديث من البخارى ومسلم، وأبواب من الفقه في أمهات كتب الحنفية والحنابلة،

وسألته عن مراجع هذه الدراسات؛ فأخبرنى أنها من كتب المستشرقين أمثال: جولدتسيهر، ومرجليوث، وشاخت، وحسبك بهؤلاء عنوانًا على الدراسات المدخولة المدسوسة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين»[١].

فليكتب إخواننا المستشرقون المسلمون عن فساد الحضارة الأوربية، وعن انهيار وتفكك الأسرة الغربية، وليقدموا لنا دراساتٍ وأبحاثًا عن عقائد وتصورات المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى، وعن الخرافات والأساطير التي اتخذوها دينًا، وليكشفوا فضائح المستشرقين، وفساد مناهجهم، وليترجموا أمهات الكتب الإسلامية إلى الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية وغيرها من اللغات التي يجيدونها، وليكونوا دعاة إلى الله ﷻ في أقوامهم، وليحرصوا على دراسة الإسلام وفهمه فهمًا صحيحًا ليس فيه أى غلو أو انحراف، وليعيدوا النظر في جميع التصورات والمفاهيم المشوهة عن الإسلام التي سبق وأخذوها عن بنى قومهم.

وإذا كان ما سبق بيانًا لموقف المسلمين من كتابات المستشرقين وعدم الاعتماد عليها في فهم ديننا، ولا الاعتماد عليها فيما نكتبه عن الإسلام ومصادره من قرآن، وسنة، وسيرة، وتاريخ ... إلخ. حتى لو كان هؤلاء المستشرقين مسلمين للأسباب السابقة. فإن هذا لا يعنى أن نلقى تلك الكتابات بعيدًا، ونقول: إنها كلام فارغ ... صحيح أن فيه كذبًا وتضليلًا: صحيح أنه صادر عن حقد عميق، ولكنه ليس كلامًا فارغًا، ولا يخدمنا في شئ أن نلقيه بعيدًا، ثم نجر اللحاف وننام.

لأن هذا "الكلام الفارغ" هو الحديد والنار اللذان يحاربنا بهما أعداؤنا في بلادهم وبلادنا. والحديد والنار لا يقابلان إلا بالحديد والنار، وفي ميدان العلم. الحديد والنار، هما العمل، والعمل الطويل نواجه به مكر أعدائنا فإذا كان أعداؤنا يعملون بتخطيط ومكر، فعلينا أن نخطط ونمكر لنفسد عليهم خططهم ومكرهم. وإذا كانوا

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع، ص ١٤.

يكتبون عن الإسلام والمسلمين "كلامًا فارغًا" فلنشمر نحن عن سواعدنا ولنكتب نحن "الكلام المليان" أداءً للأمانة التي حملنا الله ﷻ إياها في أعناقنا بتبليغ رسالته إلى خلقه كافة.

أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع حديثًا: العلمانية، البهائية، القاديانية:

إن من أخبث وأخطر ما يواجه المسلمين في عصرهم الحاضر انتشار المذاهب اللادينية بينهم من العلمانية، والبهائية، والقاديانية، وغير ذلك من المذاهب الهدامة التي نشأت وترعرعت في أحضان أعداء الإسلام من اليهودية العالمية والصليبية الحاقدة المستعمِرة، فتَحْتَ رعاية هؤلاء نشأت تلك المذاهب الفاسدة بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم، وإفساد عقيدتهم، وتفكيك وحدتهم، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية.

واستطاع أعداء الإسلام أن يستميلوا كتابًا وأساتذة جامعيين وغير جامعيين وأدباء وشعراء وصحفيين، يحملون أفكار ومعتقدات تلك المذاهب الهدامة، من أبناء الشعوب المسلمة، وينشرونها بأقلامهم وألسنتهم، ليكونوا أكثر تأثيرًا في الأجيال الناشئة.

وهؤلاء سفراء فوق العادة لليهود والنصارى، والفرق بينهم وبين السفراء الرسميين أن هؤلاء لهم تقاليد تفرض عليهم الصمت، وتصبغ حركاتهم بالأدب، أما أولئك المستشرقون السفراء؛ فوظيفتهم الأولى أن يثرثروا في الصحف وفى المجالس وأن يختلقوا كل يوم مشكلة موهومة ليسقطوا من بناء الإسلام لبنة، وليذهبوا بجزء من مهابته في النفوس، وبذلك يحققون الغاية الكبرى من الزحف المشترك الذي تكاتفت فيه الصهيونية والصليبية في العصر الحديث، إن هؤلاء النفر من حملة الأقلام الملوثة أخطر على مستقبلنا من الأعداء السافرين، فإن النفاق الذي برعوا فيه يخدع الأغرار بالأخذ عنهم، وقد يقولون كلمات من الحق تمهيدًا لألف كلمة من الباطل تجئ عقيبها.

ومن الملاحظ أن هؤلاء الذين ينخدعون من المسلمين بالمستشرقين والمؤرخين والكاتبين من أعداء الإسلام الغربيين، يُوقِعُهم في الفخ الذي نصبه لهم هؤلاء:

١- إما جهلهم بحقائق التراث الإسلامى، وعدم إطلاعهم عليه من ينابيعه الصافية.

٢- وإما انخداعهم بالأسلوب العلمى "المزعوم" الذي يدعيه أولئك الخصوم.

٣- وإما رغبتهم في الشهرة والتظاهر بالتحرر الفكرى من ربقه التقليد كما يدعون.

٤- وإما وقوعهم تحت تأثير "أهواء" و "انحرافات" فكرية، لا يجدون مجالًا للتعبير عنها إلا بالتستر وراء أولئك المستشرقين والكاتبين بتلقُّف آرائهم الفاسدة ومبادئ مذاهبهم الباطلة وترديدها كالببَّغَاء، متوهمين أن ذلك فيه عز للإسلام والمسلمين، فأضروا بأنفسهم وبغيرهم وشغبوا على دينهم، وأحدثوا بلبلة فكرية، حار فيها العوام وأنصاف المتعلمين.

ويُوقِعُهم في الفخ الذي نصبه لهم هؤلاء - جهلُهم بالسنة النبوية وعلومها وإن كان بعضهم برز في تخصصه ومجاله العلمى الدقيق، وهؤلاء هم أدعياء العلم بالسنة النبوية الذين قرؤوا فيها قراءات عابرة لا تنهض من كبوة أو تبعث من رقدة، فعرفوا منها القشر دون اللباب، وخُيِّل إليهم أنهم أعلم الخلق في هذا الباب. والمتأمل في أحوال هؤلاء القوم يجد أن بينهم وبين العلم المتعمق في السنة وعلومها بونًا شاسعًا، وليس بينهم وبينها من صلة إلا بمقدار قراءتهم لها فيما تمس الحاجة إليه منها.

فالمستشرقون قد بذروا بذور الشك في الحديث الشريف، وتعهدوها بالرعاية حتى عثروا على من يتولى أمرها من أبناء المسلمين المستغربين، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من المستشرقين في المعارف الأخرى.

ومما هو جدير بالتنبيه: أن بعض دعاة اللادينية عندما يَظهرون أمام المسلمين بتعظيم الإسلام ونبى الإسلام، وأن الإسلام حق، والرسول حق، يفعلون ذلك تقية ونفاقًا حتى يطمئن إليهم المسلمون، ثم يخلطون الحق بالباطل الدسم بالسم، بالتشكيك في السنة النبوية وفى عقائد المسلمين.

العلمانيون وموقفهم من السنة النبوية:

العلمانية بالإنجليزية (SECULARISM) وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهى دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعنى في جانبها السياسى بالذات اللادينية في الحكم، وهى اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم (SCIENCE) والمذهب العلمى (SCIENTISM) وبعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلًا. وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان، فالعلمانية في نظر هؤلاء فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادى.

والعلمانية في الشرق لا معنى لها إلا معاداة الإسلام، والتربص له في كل مرصد. والعمل على طعنه في كل مكان يتوهم أن فيه مقتله، ولذا فقد كتب الكاتبون من المتحمسين "للعلمانية" في مجالات عدة كلها تتعلق "بالإسلام"، وكلها يتصل بمحاربة الإسلام. ومناصبته العداء.

ويتلخص موقف دعاة العلمانية من السنة النبوية الشريفة، في موقف أساتذتهم من المستشرقين الذين حرصوا على إحياء شبهات أهل الفرق المبتدعة، والانطلاق من مناهجهم، للتشكيك في حجية السنة النبوية ومكانتها التشريعية جملة وتفصيلًا تارة، والتشكيك في حُجِّيَّة خبر الآحاد، ووجوب العمل به تارة أخرى.

البهائيون وموقفهم من السنة النبوية:

البهائية نسبة إلى: (بهاء الله) لقب يدعى به ميرزا حسين على وهو الزعيم الثانى للمذهب الذي تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية له كتاب سماه (الأقدس) وقد توفى البهاء سنة ١٨٩٢م. وتسمى هذه الطائفة البابية نسبة إلى "الباب" وهو لقب ميرزا على محمد رضا الشيرازى (١٢٣٥-١٢٦٥هـ) (١٨١٩ – ١٨٤٩م) الذي ابتدع هذه النحلة، وأعلن أنه الباب سنة ١٨٤٤م/١٢٦٠هـ.

والبابية والبهائية حركة نشأت سنة ١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسى واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزى بهدف إفساد العقيدة الإسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

وجاء في فتوى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف أن مذهب البهائية باطل: ليس من الإسلام في شيء، وأن من يعتنقه من المسلمين يكون مرتدًا خارجًا عن دين الإسلام، فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام، ويأباها كل الإباء، منها ادعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب، وادعاء الكفر لمن يخالفه وادعاء أن المذهب ناسخ لجميع الأديان، إلى غير ذلك.

وخلاصة موقف البهائيين من القرآن والسنة:

١- التأويل البهائى لآيات القيامة واليوم الآخر بأنه انتهاء الدورة المحمدية بالظهور البهائي.

٢- تعيين وقت الساعة وانتهاء أجل الأمة المحمدية، بالحساب اليهودى لفواتح السور، بِعَدّ أبجد هوز.

٣- اتهام رواية الحديث ورواته، فليس صحيحًا منه - بزعمهم - إلا ما وافق الظهور الجديد للبهاء وأمكن تأويله به، وإلا فهو مختلق، وعلى شرطهم يصح الحديث في العد اليهودى لحروف الفواتح، وما جاء عن المهدى ونزول عيسى - عليه السلام - آخر الزمان، مرادًا بهما الباب الشيرازى والبهاء المازندرانى.

وكما أوَّلوا آيات القرآن الكريم، أوَّلوا كذلك الأحاديث النبوية على طريقتهم الباطنية الملحدة التي زعموا فيها أن الأحاديث كلها شأنها شأن القرآن تدل على نهاية الشريعة المحمدية - وظهور القيامة بمجئ البهاء، وزعموا أن الوقوف على ظاهر الأحاديث دون تأويلها بظهور البهاء - يعتبر كفرًا بالرسول محمد ﷺ نفسه، ويعتبر خروجًا بالأمة إلى الشرك والضلال.

القاديانيون وموقفهم من السنة النبوية:

القاديانية: حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزى في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمِر باسم الإسلام وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية.

والقاديانية هى إحدى الفرق الباطنية الخبيثة، وتسمَّى في الهند وباكستان بالقاديانية، وسموا أنفسهم في إفريقيا وغيرها من البلاد التي غزوها بالأحمدية تمويها على المسلمين أنهم ينتسبون إلى الرسول ﷺ، وفى الحقيقة هم ينتسبون إلى ميرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩ – ١٩٠٨م) أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وكان ينتمى إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن.

والقاديانية ثورة على النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وثورة على الإسلام ومؤامرة دينية وسياسية، وتشكك في السنة كلها، وجعلوا الأحكام المستنبَطة من السُنة بوجه عام أحكامًا لا يجب على المسلمين اتباعها مع أن الأمة أجمعت على حُجِّيَّة السُنة، واعتبارها المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى، ولم يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في الإسلام.

تلامذة المستشرقين ينشرون سمومهم:

مرت أوقات كان الغرب فيها يزاول مهمات محاربة السُنة بنفسه، ثم اهتدوا إلى (البديل) وهم المتأثرون بهم من أبناء المسلمين: فريق مخدوع تتلمذ على أيدي المستشرقين، وأشرِبَت نفسه أغراضهم وأمراضهم، فلم يَعُدْ يرى إلا بعيونهم، ولا يسمع إلا بآذانهم، ولا يفهم ولا يعي إلا بعقولهم، شُحِنَ بالشبهات، ثم دُفِعَ به إلى دور العلم والإعلام، ينشر سمومه، ويثير في سماء السنة غيومه، فلم يترك قاعدة من قواعد علوم الحديث إلا شكك في قيمتها وجدواها، ولم يدع راويًا من كبار الرواة من الصحابة والتابعين إلا نسج حوله الشبهات، واتهمه بعظيم الاتهامات تَوطئةً لرَدّ كل ما نُقل عنه من المرويات، ولم يترك كتابًا من كتب السنة التي أجمعت الأمة علي تلقيها بالقبول،

وسلمت لرجالها بالعلم والفهم والفضل إلا شكك في أصولها، وطعن في رواتها وأسانيدها ومتونها.

من أبرز هؤلاء التلاميذ: المدعو محمود أبو رية [١] المطرود من الأزهر، فقد ألّف كتابه "أضواء على السنة المحمدية"، وما هو بـ"أضواء" ولكنه "ظلمات في ظلمات"، حمل فيه علي السنة ونقَلَتِها، وذهب يطعن في صحاح الأحاديث في أصح مصادرها، وقد صرح بتكذيبه بأحاديث كثيرة وردت في البخاري ومسلم وغيرهما، وزعم أن صحاح كتب السنة حوت كثيرًا من الإسرائيليات والمسيحيات على حد تعبيره، وقد ضرب عرض الحائط بالقواعد والموازين التي وضعها علماء الحديث لتبين الصحيح من الباطل من الأحاديث.

إن محمود أبو رية في كتابه "أضواء على السُنَّة المحمدية" لم يأت بفكرة جديدة ولا باستدلال جديد بل جَمَع ما كان من الشُبَهِ متناثرًا في كتب الشيعة وأئمة الاعتزال والمتكلمين والمستشرقين مع حكايات تُذكَر في كتب الأدب التي يتفكَّه بها الناس في مجالسهم، فهو لم يقل شيئًا لم يكن عند أسلافه هؤلاء، وإنما فاقهم في أنه أكثر منهم خُبْثًا ودناءةً وأسوأ أدبًا مع الصحابة الأمناء وأجرأ على الكذب والخيانات العلمية.

فمن أمعن النظر في كتابه هذا يدرك أَنَّ الرجل غير موثوق فيما ينقل فكثيرًا ما يزيد في النص الذي ينقله كلمة أو ينقص كلمة لينسجم مع ما يريد دون ما يريد صاحبه وكثيرًا ما يسند القول إلى غير صاحبه تمويهًا وتضليلًا.

وانظر إلى منهجه في التصحيح والتضعيف حيث يقول: «أصبحت على بينة من أمر ما نسب إلى الرسول ﷺ من أحاديث، آخُذ ما آخُذ منه ونفسي راضية، وأدَع ما أدَع وقلبي مطمئن، ولا عليَّ في هذا أو ذاك أي حرج أو جناح» [٢]، فقد جعل عقله

---

(١) وُلد في ١٥ ديسمبر عام ١٨٨٩ م، وتوفي في 11 ديسمبر ١٩٧٠ م.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، ص ١٣.

المقياس في قبول الحديث أو رفضه، وإذا رضينا منهجه هذا، فإن السنة تصبح لعبة في أيدي الناس، يكذب كل فريق بما صدق به غيره.

وقد أمعن أبو رية في التطاول على الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، وكذب بالأحاديث التي وردت من طريق هذا الصحابي الجليل، وترجم له في كتابه فيما يربو على خمسين صفحة يهذي ويفتري ويجمع من الحكايات والأكاذيب التي فيها اتِّهام وتجريح لصحابي جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يَدَعْ منقصة ولا مَذَمَّةً إلّا ألصقها به.

وقد فتح أبو رية بكتابه هذا باب شر كبير، وقد أخذ شبهاتِه التي سطرها كثيرٌ من المغرضين والحاقدين، فما من كاتب رام الهجوم علي السنة إلا وكانت ظلمات أبي رية أحد مراجعه.

وحسبنا أن نعلم أن جذور أبي رية تمتد إلى ما كتبه أعداء الإسلام، وليس هذا تقوُّلًا عليه، ولكن مِن فمّه نُدينُه، فقد جاء في كتابه قوله: «من يشاء أن يستزيد من معرفة الإسرائيليات والمسيحيات وغيرها في الدين الإسلامي، فليرجع إلى كتب الحديث والتاريخ، وإلى كتب المستشرقين أمثال (جولد تسيهر، وفون كريمر)[1].

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ١٤٨.

هجمة أخرى:

قال الدكتور عبد العظيم المطعني – الأستاذ بجامعة الأزهر سابقًا رحمه الله –[1] في مقدمة كتابه "الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض" الصادر عام ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م:

«مع مطلع هذا العام ١٩٩٩م اشتد الهجوم على السنة النبوية ونشطت بعض الأقلام في الطعن في الحديث النبوي بشكل عام، ودعوة الناس إلى الإعراض عن السنة الشريفة، وعدم التعويل عليها في علاقة المسلم بربه، ومجتمعه، وأسرته ودنياه وآخرته؟! وقد راقبنا ما نشر حول هذا الموضوع، فرأيناه يزداد عنتا وضراوة وقبحًا يومًا بعد يوم، ورأينا الذين تولوا كِبْر هذه الفتنة كلهم – بلا استثناء – دُخَلاء أدعياء على المجال الذي زجَّوا بأنفسهم فيه إذ لا صلة لهم بالدراسات الإسلامية بعامة، ولا بالحديث وأصوله بخاصة، وكل حظهم أنهم قرأوا بعض كتب التراث، وأخذوا يبحثون عن "العورات" التي ظنوا أنها تفيدهم في تشوية حقائق الإسلام، وعَزْله عن المسلمين، أو عزْل المسلمين عنه.

وقد ساعد على ضراوة هذه الحملة المسعورة عندنا في مصر أمور:

أولًا: التوغل اليهودي بعد التصالح مع "إسرائيل" وقيام سفارة لها في أرض الكنانة، أصبحت هذه "السفارة" وكرًا لنفث السموم ومحاربة الإسلام، على أيدي عملاء لها من بني جلدتنا ويتحدثون بلساننا، ويتحركون وهم آمنون، لأنهم "مصريون" بل "مسلمون" وهذا هو مكن الخطر.

ثانيًا: إسهام الجامعة الأمريكية بالقاهرة في الإساءات السافرة إلى الإسلام، ففي عام ١٩٩٨م عُثر على كتاب يدرس فيها للكاتب اليهودي (ماكسيم رودنسون) بعنوان

---

(١) الدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني رحمه الله من مواليد مايو ١٩٣١ بأسوان. وتوفي في ٢٩ يوليو ٢٠٠٨.

(محمد) ويقوم بتدريسه للشباب المصريين أستاذ أمريكي الجنسية. وهذا الكتاب عبارة عن خطة موضوعة لهدم الإسلام أصولًا وفروعًا، كما يدل على ذلك موضوع الكتاب نفسه لمن اطلع عليه، أو على ملخص له.

ثالثًا: مركز ابن خلدون: وهو وكر استعماري جديد، قد تكشفت خفاياه من خلال أعمال مشهورة له، مثل مؤتمر الأقليات، الذي كان مزمعًا عقده في مصر، لكن مُنِعَ انعقاده لخبث المراد منه، وهو إثارة الفتنة الطائفية في مصر.

ثم تبنى هذه المركز لدعوة تزويج الشباب المصري من فتيات "إسرائيل" وروَّج لهذه الفكرة بما أوتي من وسائل الدعاية ولكن الوعي المصري وأد هذه الفكرة في مهدها والحمد لله، ثم إقحامه نفسه فيما ليس له فيه ناقة ولا جمل، وهو إعداد مناهج للتربية الدينية الإسلامية في المراحل الثلاث: الابتدائي والإعدادي والثانوي، تضمنت تلك المناهج اعتداءات صارخة على الإسلام، وكان من أشنع ما ورد فيها إنكار السنة النبوية والقول بأن الأحاديث النبوية كلها "مزورة" ولا يصح منها شيء على الإطلاق؟!

رابعًا: النظام العالمي الجديد أو "العولمة" ذلك النظام الذي حدث بعد انهيار النظام السوفيتي الشيوعي، حيث ترك انهياره فراغًا أمام الدول الرأسمالية، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وفرضت أمريكا نفسها - بمعونة بعض حلفائها - أن تتزعم هذا النظام، الذي يصبح فيه العالم كله مِثْل القرية الواحدة، أو قرية واحدة بدون "مِثْل" ويستهدف هذا النظام محو الفوارق بين الشعوب، أو محو شخصية العالم الإسلامي، وتجريده من "مقوماته" وفي مقدمتها الدين واللغة العربية، وما يتصل بهما من حضارة، ولذلك فإن أوروبا - كلها - تسعى - الآن - لإسقاط الإسلام بما تملك من وسائل "ساخنة" أو "باردة".

ولا يستطيع "عاقل" أن يبرئ أمريكا وبعض حلفائها مما يعتري العالم الإسلامي - الآن - من عمليات المحو والقرض والجذر وإن كان عملاؤها هم الذين يتحركون، فإن "الوقود" صليبي صهيوني بلا أدنى ريب.

وفي أثناء الهجوم الشرس على السنة النبوية اتصلت بي "شخصية" من العالِمين بما وراء الكواليس، (ما زال الكلام للدكتور عبد العظيم المطعني ﷺ) وأكدَتْ لي أن إحدى السفارات الأجنبية الغربية تدير مركزًا لجمع المعلومات الشاذة من التراث العربي الإسلامي، وتزوّد بها أولئك العملاء الذين يناصبون الإسلام العداء في الصحف والمجلات المصرية.

خامسًا: استثمار آثار العنف، والفتنة التي مرَّت بها البلاد فكدرت الصفو العام والخاص، ثم توقف العنف الذي كانت الدولة قد تصدت له، وخاضت معارك شرسة مع عناصر الفتنة. وكان من المحن أن حوادث الإرهاب نُسِبت إلى الإسلام، فأراد هؤلاء المشاغبون الجدد أن يطرقوا الحديد وهو ساخن، حيث ظنوا أن الدولة أصبحت في موقف قلق من التمسك بالدين، والدعوة إليه، وأنها تغمض عينها عن كل من يحذر من الحماسة الدينية.

في هذا الجو أرخى هؤلاء المشاغبون لأنفسهم العنان، فأداروا ظهورهم للإرهارب وبواعثه، وأخذوا يصوبون "سهامهم" نحو الإسلام نفسه وصوروا كل ما هو إسلامي في صورة التطرف والعنف والإرهاب أو التشدد المتزمت، فصرنا نسمع أو نقرأ لأناسٍ لم يكن لهم ذِكْرٌ من قبل، ومنهم من وصف علماء الحديث وشُرّاحه بأنهم إباحيون؟! ومنهم من اتهم الإمام الشافعي بأنه ابتدع أشنع بدعة في الإسلام بجعله السنة مصدرًا للتشريع في كتابه المعروف بـ "الرسالة"؟!

وإذا فتشت عن صلة هؤلاء بالدراسات الإسلامية تجدها "صفرًا" غير مسبوق بأرقام، ولكنهم قرأوا بعض الكتب فظنوا أنهم صاروا أئمة يشار إليهم بالبنان؟!

سادسًا: الصحف الجديدة:

في السنوات القليلة، الماضية، انتشرت ظاهرة جديدة، لم يكن لها وجود من قبل، تلك هي ظاهرة الصحف الجديدة، التي تواصل الصدور هذه الأيام. وتجاوزت هذه الصحف نطاق الحياة الحزبية، فأخذ بعض الأفراد يتسارعون في إصدارها بهدف

الكسب المالي واستثمار رءوس أموالهم. ولهم حيَل كثيرة في استصدار التراخيص الرسمية، التي تمكّنهم من مزاولة المهنة في جو آمن.

والصحيفة بلا قراء أشبه بـ "السقط" الذي لم يكتمل تكوينه في رحم أمه فكان لابد لهذه الصحف الجديدة من السعي لإيجاد قراء لها. وأقرب وسيلة، وأقصر طريق هو الكتابة "في الممنوع" و"عن الممنوع" وهذه هي الخطة التي سارت عليها "الصحف الجديدة" واتخذت من الكتابة "في الممنوع"، "وعن الممنوع" في الشئون الدينية الإسلامية مَعِينًا لا ينضب، وبحرًا لا تتوقف أمواجه، ولا يجف ماؤه فظفرت باهتمام القراء، ومتابعتها في ما تكتب عن الإسلام، هنا وجد الموتورون من الإسلام الفرصة أمامهم، فلم يألوا جهدًا في الإساءة إليه والكيد له، والتحامل عليه واستثمروا - مع هذه - كل المغريات المشار إليها من قبل، وركزوا جهودهم على محورين:

- الدعوة إلى إلغاء الفقه الإسلامي؛ لأنه في نظرهم فقه متخلف رجعي، تجاوَزَه الزمن أو نتاج أموات فكيف يتحكم أهل القبور في سكان القصور؟! فقه كتب لخدمة الحكام الذين كتب في عصورهم، وإن شئت فانظر كتابَي: (ثقافتنا في مواجهة العصر)، وَعَنْ(تجديد الفكر العربي)، وكلاهما للدكتور زكي نجيب محمود.
- الدعوة إلى إلغاء السنة النبوية، إما لأنها - بزعمهم - مزوّرة عن رسول الله ﷺ؟!. وإما لأنها - وإن كانت غير مزورة - ليست من الدين في شيء. والإيمان بها والاحتكام إليها أكبر بدعة حدثت في الإسلام، تولى كبرها "الشافعي" ثم تابعه الفقهاء من بعده؟! وأن العمل بالسنة هو سبب تخلف المسلمين؟!

والملاحَظ الآن أن الحملة على الفقه بدأت تتراجع، أما الحملة على السُّنة فقد تضاعف حجمها، ورأينا أشخاصًا يكتبون حولها لا عهد لهم من قبلُ بالكتابة، ولولا وجود الصحف الجديدة ما وجد هؤلاء الأدعياء من ينشر لهم حرفًا واحدًا، ولكن "لكل ساقطة، في الحي لا قطة" كما جاء في المثل الحكيم[١].

(١) من مقدمة كتاب"الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض" للدكتور عبد العظيم المطعني – الأستاذ بجامعة الأزهر سابقًا رحمه الله – و الصادر عام ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

وحملة إعلامية فضائية على السنة:
على درب السابقين سار اللاحقون:
١- جمال البنا:

(جمال البنا) [١] صحفِيٌّ مِصريٌّ، وهو ابن الشَّيخ أحمد عبد الرَّحمن البنَّا الساعاتيِّ، والأخ الأصغر للأستاذ حسَن البنَّا رحمه الله، فسُبحان الذي يُخرِج مِن البَيت الواحِد أخيارًا وأشرارًا!! ومن يتابع سيرة (جمال البنا) سيدرك عُمق اتِّصالاته مع مركز ابن خلدون الذي يديره ويشرف عليه العلماني سعد الدين إبراهيم، بل لقد اعترف جمال البنَّا بأنَّه عضو من أعضاء مجلس الأمناء في هذا المركز العلماني.

ومركز ابن خلدون مشتهر ومعروف عنه عمق الصلة مع الجهات الأمريكيَّة، والمدعوم مِن قِبَلِها كما أنَّ (جمال البنا) ممَّن يُشهد لهم ويُعرفون بحضورهم المؤتمرات الأمريكيَّة عميقة الصلة مع مؤسَّسة (راند).

و(جمال البنَّا) صدرت فيه تقارير من مجمع البحوث الإسلاميَّة في مصر، والتي حكمت بكفر بعض أقواله التي جاءت في بعض كتبه التي خاضت في الزندقة والفساد والفكري، بل إنَّها منعت وأمرت بمصادرة كتابه:(مسؤولية فشل الدولة الإسلاميَّة في العصر الحديث) ومَنْعه من الطبع والتوزيع، للضلالات والترَّهات التي قيلت فيه!

ومع هذا فالعجب العُجاب أن نقرأ عنه في وسائل الإعلام أنَّه مفكر إسلامي! فأي تفكير إسلامي يحمله هذا الرجل، وهو ينسف عرى الإسلام عروة عروة؟! والرجل قد افتضح على أيدي علماء الإسلام على شاشات التلفزيون والقنوات الفضائية، نظرًا لكثرة خزعبلاته وكثرة الردود عليها.

وقد وجّه الدكتور علي السالوس النائب الأول لرئيس مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، وأستاذ الفقه والأصول، انتقادات حادة لـ(جمال البنا)، واتهمه بتعمد مخالفة ما أجمعت عليه الأئمة وخرق الثوابت الإسلامية. وأن مساعي (جمال البنا) وأمثاله من

---

(١) وَلِد جمال البنا في 15 ديسمبر 1920، وتوفي في 30 يناير 2013 .

الكتاب الذين يصفون أنفسهم بـ"المستنيرين" ترمي إلى الطعن في الثوابت التي يقوم عليها المعتقد الإسلامي من أجل هدمها شيئًا فشيئًا وصولًا في النهاية إلى الطعن في القرآن الكريم.

إن المراقب لطروحات (جمال البنا) أو المتتبع لها سيجد أنَّه كان يخرج بين فينة وأخرى بآراء فكريَّة عجيبة غريبة، يُبدِي من خلالها مخبآت الأفكار المكنوزة في عقليته، وأنَّ جملة كثيرة من أعماله قائمة على الشذوذات والأوهام الفكريَّة، وأفكاره قائمة على مشكلات عدَّة خطيرة، وهي كما يلي:

١- هدم السنَّة بحجَّة أنَّ قلَّة قليلة من أحاديثها صحيحة، والبقية منكرة وشاذة وموضوعة، وعدم الأخذ بأحكام الأحاديث النبويَّة الصحيحة عنده، إلاَّ بما وافق القرآن حسب زعمه.

٢- التحايل على الشريعة وأدلتها من نصوص الوحيين، وتحكيمه الكامل لهواه فحسب، باسم المصلحة والضرورة وعموم البلوى وغير ذلك!

٣- نقض الشريعة بحجَّة النقد البناء!

٤- انتهاجه وانتهازه لزلاَّت بعض العلماء، وترويجها بين عوام الناس، ونشرها في مؤلفاته وكأنَّها أقوال لا مغاير لها ولا مخالف! ومن المعلوم لدى أهل العلم؛ أنَّهم كانوا يعدُّون من تتبع رخص العلماء وزللهم بأنَّه تزندق، وأنَّه خلع ربقة الإسلام من عنقه، وأنَّه يهلك ويُهْلِك، ويقرِّرون أنَّ تتبُّع زلاَّت العلماء ورخصهم ليس من العلم في شيء.

ومن تأمَّل فكر (جمال البنَّا) فسيُوقن أنَّه يتبنَّى عدَّة أقوال، بعضها رُخَص وزلاَّت زلَّ بها بعض العلماء، وبعضها الآخر بل الأكثر (ضلالات وجهالات) استقاها من عقله المضطرب فأورثت هذا المنهج الضال الذي ينشره بين الناس، ومنها:

١- رفْضه لقواعد المحدثين في الجرح والتعديل التي من خلالها يَثبُت الحديث، وبناء على هذا الرأي الفاسد ستهدم السنَّة، بحجَّة خطأ قواعد الجرح والتعديل التي

تداولها العلماء القرون تلو القرون، وانطلقوا من خلالها، وحكموا بضوئها على الأحاديث!

وإذا نفينا قواعد الجرح والتعديل التي أطبق عليها المحدِّثون؛ فإلى أي قواعد جرح وتعديل نستند؟ هل لآراء (جمال البنَّا) التي يختلف معه فيها كل علماء الجرح والتعديل سلفًا وخلفًا؟ وهل كان المسلمون يتعبَّدون الله ﷻ بدين باطل قائم على جملة من الأكاذيب حتى جاء (جمال البنا) وكشَفَها؟

٢- رفْض عدالة الصحابة رضي الله عنهم؛ حيث ينفي وجوب تعديلهم إلزامًا كما استقر المنهج عند أهل السنة والجماعة، ويرى أنهم قد يكْذِبون في الحديث، وقد خالف بذلك القطعيات القرآنية الصريحة في تعديل الله عز وجل وتزكيته للصحابة رضي الله عنهم.

إن القرآن الكريم قد نُقِل إلينا عن طريق الصحابة رضي الله عنهم، وما دام (جمال البنا) وأمثاله قد طعنوا فيهم وفي روايتهم للتفسير والحديث، فلم يبق إلا أن يطعنوا في روايتهم للقرآن الكريم.

٣- التشكيك في صحَّة كثير من أحاديث الصحيحين، فيضعِّفُ كثيرًا من الأحاديث التي تواترت صحتُها عن علماء الحديث النقاد والمدققين؛ لأنَّه يراها - بفهمه القاصر - تصطدم بالقرآن؛ فالسنَّة في نظره موضع شك وريبة، فينكر ما انفردت به السنَّة النبويَّة المطهَّرة بالأحكام عن القرآن، أو أنَّها جاءت بتفصيلات إضافة على ما في كتاب الله عز وجل. وهو يرى أنَّ كل كتب السُنة تعُجّ بالموضوعات، بما فيها صحيحا البخاري ومسلم، ولهذا فقد ألَّف كتابًا في نقدهما سمَّاه:(تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تلزم)!

إن الأحاديث الصحيحة التي زعم (جمال البنَّا) أنها تصطدم بالقرآن، هي في الحقيقة تصطدم بعقله المضطرب ليس إلاَّ؛ فمَن طالع كتبه ومقالاته وسمع أقواله، فسيعلم حقيقة ذلك.

لقد وضَّح علماء الإسلام أنَّه لا يتعارض حديثٌ مع آية، وكان لعلماء المسلمين طرائق منهجيَّة في التعامل مع النصوص القرآنية والنبويَّة التي قد يُشكِلُ ظاهرها، أو

يتوهم بعض الناس تعارض بعضها مع بعضها الآخر، وإذا كان التعارض يدور في عقل (جمال البنا) فليس له أن يضعِّف أحاديث اتَّفق العلماء على تصحيحها أو تحسينها وبيَّنوا وجه الدلالة منها، بل عليه أن يتَّهم عقله، والذي لم يستطع أن يجمع بين تلك الأحاديث والآيات التي ظاهرها التعارض لديه، وعليه أن يرجع إلى كتب العلماء ليتعلَّم كيف يتعامل مع النصوص التي ظاهرها التعارض.

أمَّا الأحاديث الموضوعة والضعيفة فقد بيَّن أهل العلم والحديث المتخصِّصون تلك الأحاديث، وأفردوها بكتب وأسفار خاصَّة بذلك؟ فما الذي سيأتينا به الدخلاء على علم الحديث وأهله؛ حتَّى يوضِّحوا الأحاديث الموضوعة والمكذوبة المنتشرة في كتب السنة؟

٤- دعوته إلى الاحتكام بما في صحيح السنَّة إلى صريح القرآن، وهي المرجعية الإسلامية الملزمة عنده فقط، وعلى ذلك؛ فإنَّ معنى هذا أنَّ أي حديث لم يأتِ عليه دليل من كتاب الله فليضرب به عرض الحائط، ولا يستدلَّ به، وكلام (جمال البنَّا) في هذا المجال يشبه قول القرآنيين الذين نسبوا أنفسهم إلى القرآن وقالوا: لا نأخذ إلا به وأنكروا السنة، وقد كفَّرهم الأزهر وغيره من المؤسسات الدينية في دعواهم الأخذ بكتاب الله وترك الاحتجاج بكتب السنَّة!

و(جمال البنَّا) عبْر كلامه هذا يُبطل الآيات التي جاءت بالأمر بالأخذ بالأحاديث؛ لأنَّها وحي يوحى لرسول الله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (الحشر: ٧). ويترتب على ذلك أنَّ كثيرًا من العبادات التي نتعبَّد بها الله ﷻ ستكون غامضة لأنَّ تفصيلاتها وتفريعاتها موجودة في كتب السنَّة.

٥- دعوته لنسْف ثوابت الدين، ونفيه أن يكون الإسلام دينًا ودولة، فيمكن أن تقول: إن (جمال البنَّا) والعلمانيون تشابهت قلوبهم! لأنَّ كلامه تأصيل لعداوة العلمانيين للإسلام ودعاته؛ بل هو يتطابق مع العلمانيين حين يقولون: الإسلام لا دخل له بالسياسة، بل هو محصور في زوايا المسجد، وتكايا الذكر، ويعني ذلك أن ننسف كلَّ

تاريخ الإسلام، الذي كان قائمًا على حفظ السياسة الشرعيَّة للمسلمين، وعلى حماية دُولهم.

بل حتَّى الدولة التي أقامها رسول الله ﷺ في المدينة المنوَّرة والتي كانت منطلقًا للجيوش الإسلاميَّة لفتح الدول التي صدَّت عن الإسلام أو قاومت جيوشه، فهذه الدولة بمقتضى آراء جمال البنَّا كانت خطأً شنيعًا وذلك لأنَّ الأصل أن تقوم هذه الدولة بالفصل بينها وبين الدين.

٦- تقديمه للعقل (الهوى) على النصوص الشرعيَّة: فلا مانع عنده أن يكون العقل حاكمًا على القضايا الدينيَّة والشرعيَّة.

وهذا يخالف المقطوع به أنَّ للعقل دورًا في بلورة الأفكار، إلاَّ أنَّ النص القرآني أو النبوي حاكم على العقل، فالحكم يكون مقدَّمًا لشريعة الإسلام على عقل الإنسان، وليس العكس، ثمَّ لو تحاكمنا للعقل فلأي عقل نتحاكم ونحتكم؟ هل إلى عقل (جمال البنا) أم إلى عقل مَنْ؟ إنَّ العقول مختلفة، والآراء بعدها ستكون متضاربة، وهناك عقول كبيرة وعقول صغيرة، وهناك عقول كليلة وعقول صحيحة، وهناك عقول ذكيَّة وعقول غبيَّة، إن الشريعة والوحي حاكمان على العقل، ولن يتعارض العقل الصحيح مع النقل الصريح كما قرَّره علماء الإسلام.

٧- إلغاؤه لجهاد القتال، ضاربًا عرض الحائط بمئات الآيات والأحاديث التي تأمر بجهاد الكفَّار والذي يعني القتال في سبيل الله، والتي توضِّح أنَّ علَم الجهاد لا يزال قائمًا حتَّى قيام السَّاعة.

والخلاصة التي نستوحيها ونفهمها من كلام (جمال البنَّا) أن ننبطح تجاه المحتل الأمريكي والصهيوني والروسي والهندوسي الغاشم في بلاد الإسلام (فلسطين - العراق - أفغانستان - الشيشان - الصومال- كشمير) ويهنأ الكافر المحتل في احتلاله لبلاد المسلمين بلا مقاومة جهاديَّة عسكريَّة!!

٨- تجويزه نكاح المتعة بدون ولي ولا شهود، كما يرى جواز الزواج بدون ولي ولا شهود! و(جمال البنا) بهذه الفتوى يبيح لعموم المسلمين الزنى على شكل مبطَّن

(حيث نكاح المتعة بلا ولي أو شهود)، مع أنَّ جماهير علماء المسلمين أطبقوا على نسخ نكاح المتعة، وأنَّ الأحاديث المجيزة له قد نسخت إلى يوم القيامة.

والحقيقة أنَّ (جمال البنَّا) قد شابه الروافض الشيعة الإماميَّة في قولهم بجواز نكاح المتعة بدون ولي أو شهود، وكتبهم تطفح بذلك، فليرجع لها من أراد التوثق من ذلك، وليهنأ (جمال البنَّا) بمشابهته لهم.

٩- تجويزه لكشف المرأة عن شعرها، فإنَّه يرى أنَّ شعر المرأة ليس عورة. ويرى أن تؤدي صلاتها بمفردها وهي كاشفة الشعر. فمن أين أتى بجواز كشف المرأة عن شعر رأسها؟ وما دليله على ذلك؟ فكيف تبيح الشريعة إخراج شعرها أمام الرجال، والشعر زينة للمرأة، بل هو علامة على جمالها؟ ثمَّ ما دليل الأستاذ جمال على جواز كشف المرأة في الصلاة عن شعرها؟

ومن الأقوال الضالَّة لهذا المدعو زورًا بالمفكِّر الإسلامي:

- تجويزه لإمامة المرأة للرجال مطلقًا.
- وقوله بأنَّ التدخين لا يفسد الصوم!
- وأنه لا يجوز للرجل أن يطلق زوجته منفردًا، وذلك كونه تزوج منها بصفة رضائية وبالتالي يتوجب الطلاق رضا الطرفين واتفاقهما لكي يتم الانفصال.
- ويقول بجواز تبادل القبلات بين الجنسين.
- وإنكاره لحدِّ الرجم للزاني المحصن!
- وإنكاره لحدِّ السرقة!
- وتجويزه بأن تتزوج المسلمة من نصراني أو يهودي!
- وسبُّه ولعْنه للصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كاتب وحي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
- ومن أقواله الغريبة والمضحكة في الوقت نفسه، ما أفتى به أنه يجوز للمرأة أن تتيمم بدلا من الوضوء بالماء إذا كان الماء يؤذي جمال

وجهها، كأنْ يظهر من أثر الوضوء في الشتاء ما يشين هذا إذا كان الوضوء يؤثر على جمال المرأة في وجهها.

ورغم هذه الآراء الخطيرة التي كان يحملها (جمال البنا)، والتي ضلالُها وفسادُها واضحٌ لكل ذي عينين، فإن وسائل الإعلام كانت تطرحها وتسوِّقها، فكنت تشاهد مقابلات إعلاميَّة أو صحافيَّة معه يصفه فيها كثير من الإعلاميين والصحافيين بأنَّه مفكِّر إسلامي، أو رجل ذو ثقافة واسعة! وما هو في الحقيقة إلاَّ محرفٌ لدين الله، ومتتبع لزلاَّت العلماء ورخصهم، فشتَّان بينه وبين أهل العلم الراسخين!

٢- إبراهيم عيسى:

إبراهيم عيسى صحفي مصري، يطعن في بعض ثوابت الدين، ويهاجم كل ما يمت للإسلام بصلة، بدأ خرافاته، عقب الظهور على قنوات النصراني"نجيب ساويرس"، فأنكر عذاب القبر، وجعل برامجه مرتعًا لنشر بضاعته الشيعية الحاقدة على الإسلام والمسلمين.

وهو لا يستطيع إخفاء تعاطفه مع الفكر الشيعي والمذهب الشيعي، وله كتابات عديدة وحلقات تليفزيونية شهيرة تروج لتراث الشيعة في الطعن في الصحابة رضي الله عنهم وتشويه تاريخهم، وكان يضع على الحائط خلف مكتبه صورة كبيرة لحسن نصر الله القيادي الشيعي اللبناني وزعيم تنظيم "حزب الله" الذي يساند الآن نظام بشار الأسد النصيري، ويعمل معه في تقتيل المسلمين في سوريا تحت الغطاء الجوي الروسي.

زاد هجاء إبراهيم عيسى للأزهر بعد توالي نقد الأزهر للمرجعية الشيعية في إيران ومطالبتها بإصدار فتوى صريحة تحرم سب الصحابة وأمهات المؤمنين.

ولم يكتف المتشيِّع إبراهيم عيسى، بالظهور الإعلامي على قنوات "ساويرس"، بل أصدر صحفية ورقية، تضم من الكتّاب من هم شاكلته، ولا تقدم شيئًا سوى الهجوم على سنة النبي صلى الله عليه وسلم وعلماء وأئمة المسلمين.

وقد ذكر الدكتور عبد المنعم فؤاد، عميد كلية علوم القرآن لغير الناطقين باللغة العربية بجامعة الأزهر، أن إبراهيم عيسى شيعي ١٠٠ ٪، ويسعى لترويج فكر الروافض، والقدح في الصحابة رضي الله عنهم مدفوعًا من أيدي خارجية شيعية خفية.

٣- إسلام البحيري:

إسلام إبراهيم بحيرى هلال سمى نفسه بحسب ما جاء في صفحته الرسمية على الفيس بوك "الباحث الإسلامى المصحح الدكتور/ إسلام بحيري" ووصف نفسه:

* هو باحث مفكر شاب حاصل على درجة الدكتوراه من بريطانيا في تجديد مناهج الفكر الإسلامي.

* وهو رئيس مركز الدراسات الإسلامية بمؤسسة "اليوم السابع".

* ومشروع إسلام بحيري الفكري يضع محددات واضحة لمحاولة تنويرية جادة من خلال تنقيح التراث والتعامل الحر المباشر مع النصوص المقدسة.

وقفات مع هذه الصفات:

أولًا: كونه حاصلًا على درجة الدكتوراه في تجديد مناهج الفكر الإسلامي من جامعة "ويلز" في بريطانيا، استوقف المذيع خالد صلاح ليسأله مستغربًا عن ماهية هذا المؤهل العلمي فقال له: «وهل تُعطي جامعة ويلز شهادات في الدراسات الإسلامية»، فرد إسلام البحيري: «بل في الدراسات التاريخية»!!

هكذا بلا حياء ولا اعتذار ولا احترام لعقول المشاهدين، يزعم البحيري أنه حاصل من "ويلز" على الماجيستير في الدراسات الإسلامية ثم في اللحظة التي تليها وبعد الشك في منطقية زعمه، إذا به ينفي أن جامعة "ويلز" قد أعطته الماجستير في الدراسات الإسلامية!! المهم أن المذيع تابع اللقاء وكأن شيئًا لم يكن!

فإذا كان الماجستير في الدراسات التاريخية فلماذا يكذب ويكتب على صفحته الرسمية: حاصل على درجة الدكتوراه من بريطانيا في تجديد مناهج الفكر الإسلامي؟

ومتى كانت جامعة ويلز مؤتمنة على المناهج الإسلامية حتى تعطيه مثل هذه الدكتوراه إن صح كلامه؟

قال الدكتور عبد المنعم فؤاد، عميد كلية علوم القرآن لغير الناطقين باللغة العربية بجامعة الأزهر، إن الإسلام الذي يريد إسلام البحيري من الخلائق أن يتعلموه هو الإسلام الذي تعلمه على أيادي الحاخامات والمبشرين والمستشرقين هناك في الغرب في بريطانيا، الإسلام الذي علمه له جولد تسيهر المستشرق اليهودي المجري والذي

كتب كتاب "العقيدة والشريعة في الإسلام"، وادعى فيه أن النبى محمد ﷺ اقتبس أو سرق عقيدته في الله من اليهود، وكذلك شريعته من العهد القديم هكذا بكل بلاهة وغباء، وكأن اليهود عندهم عقيدة صافية نقية في الله تعالى، ووحدانيته، وكأن عندهم شريعة عالمية تنقذ البشرية من عثرات الزمان!!

وتابع الدكتور عبد المنعم فؤاد أن جولد تسيهر المستشرق اليهودي المجري هو مَن علّم الإسلام لإسلام البحيري، أو على الأقل تعلمه إسلام من تلميذ من تلاميذ هذا اليهودي، وبلا شك تعلم في "ويلز" أيضا من المستشرق "جب" العدو اللدود للإسلام، أو "ماكدولند"، أحد كُتّاب "دائرة المعارف" الذين شوهوا صورة الإسلام في الغرب أمام الجميع، أو من تلاميذيهما، أو غيرهما.

وأضاف الدكتور عبد المنعم فؤاد أن العلم الذي يطفح به ذهن البحيري، ويعطس به في وجوه الناس كل يوم لم يعرفه علماء الإسلام، ولا مَن حملوا لنا رسالة الإسلام منذ عهد الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

ثانيًا: كونه رئيس مركز الدراسات الإسلامية بمؤسسة "اليوم السابع". يثير هذه التساؤلات:

- ما هي الدراسات الإسلامية التي ستقوم بها مؤسسة " اليوم السابع"، التابعة للنصراني نجيب ساويرس؟
- وما هي دلالة عنوان صفحة إسلام البحيري الأسبوعية في تلك الجريدة "الإسلام الآخر".
- وما هو "الإسلام الآخر" الذي يريد نجيب ساويرس أن ينشره بين المسلمين؟
- هل هو الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ وحيًا من عند الله أم أنه "إسلام" معدل وفق ما يراه نجيب ساويرس وإسلام البحيري وغيره من العاملين في "مركز الدراسات الإسلامية" التابع لساويرس والذين يقبضون رواتبهم منه؟

- ما هو "الإسلام الآخر" الذي سينشره نجيب ساويرس المعروف عنه مطالبته بحذف المادة الثانية من الدستور المصري التي تنص على أن دين الدولة هو الإسلام وأن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع؟
- ما هو "الإسلام الآخر" الذي سينشره نجيب ساويرس المعروف عنه سخريته على صفحته الرسمية على "تويتر" من شعيرتين إسلاميتين هما اللحية والنقاب؟
- ما هو "الإسلام الآخر" الذي سينشره نجيب ساويرس المعروف عنه ازدراؤه لشوارع القاهرة الممتلئة بالمساجد، ووصفها بأنها أصبحت تصدر العنف والتطرف.
- ما هو "الإسلام الآخر" الذي سينشره نجيب ساويرس الذي قال إن انتشار الحجاب في مصر يُشعِره بالغربة؟
- ما هو "الإسلام الآخر" الذي سينشره نجيب ساويرس الذي تقدم العشرات من المصريين ببلاغات للنائب العام ضده يطالبون بمحاكمته بتهمة الإساءة للإسلام وتهديد السلام الاجتماعي والأمن الوطني؟ (١).

ثالثًا: الأساس الذي بنى عليه إسلام البحيري ما أسماه مشروعه الفكري هو "وضع محددات واضحة لمحاولة تنويرية جادة من خلال تنقيح التراث والتعامل الحر المباشر مع النصوص المقدسة" يستدعي هذه التساؤلات:

---

(١) من المضحك المبكي في قضية ساويرس أن شخصية بمثل هذا الكم الضخم من العداء والكراهية للإسلام والمسلمين والمجتمعات الإسلامية، قد اختارتها طريقة "أبي العزائم" الصوفية في مصر لتكون شخصية العام الهجري سنة ١٤٣١ تقديرا لجهوده الواسعة في خدمة العالم!!

- ما المقصود بالتعامل الحر المباشر مع النصوص المقدسة (وهي عند المسلمين القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة)؟ هل هو حرية النقد للكتاب والسنة والتعامل معهما كالتعامل مع أي نص أدبي كما يزعم العلمانيون؟
- اتضح من تصرفات إسلام البحيري أن التراث الذي يهدف إلى تنقيحه هو السنة الصحيحة بدليل هجومه على "صحيح البخاري" أصح كتب السنة، فهل "مركز الدراسات الإسلامية بمؤسسة "اليوم السابع" سيفعل نفس التنقيح مع القرآن الكريم؟!!
- هل يستهدف إسلام البحيري من مشروعه الفكري مسح الهوية الإسلامية والدين الذي ورثناه عن سلفنا الصالح رضي الله عنهم عن طريق التعامل الحر المباشر مع النصوص المقدسة، أي الطعن المباشر في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة؟

من ضلالات إسلام البحيري:

بالإضافة إلى هجومه على صحيح البخاري قال إسلام البحيرى فى برنامجه على فضائية " القاهرة والناس"، إن دخول الجنة ليس قاصرًا على المسلمين فقط، بل إن غير المسلمين سيدخلون الجنة أيضًا وأن الإنسان بعمله وليس بعقيدته، وأن الآيات التي ذُكر فيها لفظ النار وجهنم كان المقصود بها "الكفار ومشركي مكة"، في عهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين نص عليهم وحددهم القرآن الكريم.

وقد انتقد الدكتور عيد يوسف، أمين لجنة الفتوى بالأزهر، ما قاله إسلام بحيري عن دخول غير المؤمنين الجنة، قائلًا إن هذا الكلام مناقض للكتاب والسنة لأن كل مَن كفر بالله تعالى ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجحدوا برسالة الله تعالى ورسالة نبيه سيدخلون النار.

وأضاف الدكتور عيد يوسف أن من المسلمين من يعذَّب بالنار بسبب المعصية أما بالنسبة للكافرين فهو الخلود الأبدي. وأشار أن كلام البحيرى ليس له دليل شرعى

عليه يسانده ويقويه. وتابع أن كلام البحيرى يناقض العقل السليم والرسالة السماوية، فهل عباد البقر سيدخلون الجنة؟

الأزهر ينتصر للإسلام:

أرسل الأزهر الشريف مذكرة لهيئة الاستثمار طالب فيها بوقْف عرض برنامج إسلام البحيرى، على قناة القاهرة والناس، وأصدر بيانًا قال فيه إن المؤسسة **تابعت ببالغ الاهتمام الهجمات الشرسة والمضللة التى يتبناها بعض الإعلاميين ضد ثوابت الدين والتراث الإسلامى وفقهاء الأمَّة.**

وأضافت المؤسسة أنها تلقت شكاوى عديدة من كثير من المواطنين حول ما دأب عليه بعض الإعلاميين من الهجوم الدائم على ثوابت الدين الإسلامى، خصوصًا ما يقدمه إسلام البحيرى، عبر برنامجه (مع إسلام) المذاع فى قناة "القاهرة والناس".

وأضاف البيان أنه فى إطار قيام الأزهر بالحفاظ على الدين الإسلامى من التشكيك والتشويه وعدم السماح بأن ينال أحدهم من صورة الإسلام، أو أن يعبث بعقول الشباب، فقد تقدم الأزهر الشريف بشكوى إلى المنطقة الحرة الإعلامية بالهيئة العامة للاستثمار ضد البرنامج المذكور، لما يمثله من خطورة فى تعمده تشكيك الناس فيما هو معلوم من الدين بالضرورة، بالإضافة إلى تعمُّقه فى منُاقضة السَّلم المجتمعى، ومُناهضة الأمن الفكرى والإنسانى، مما يجعل البرنامج يمثل تحريضًا ظاهرًا على إثارة الفتنة وتشويه للدين، ومساسًا بثوابت الأمَّة والأوطان وتعريض فكر شباب الأمة للتضليل والانحراف.

وأكد الأزهر أن علماءه قد سبق وأن فندوا كل الادعاءات الباطلة المثارة إعلاميًّا حول الدين والتراث الإسلامى والسنة النبوية، ولكن للأسف لم يجد الأزهر أبدًا اهتمامًا كافيًا فى نشر ردوده الشرعية التى دحض فيها هذه الادعاءات بالحجة والبرهان فى وسائل الإعلام، مما اضطر الأزهر الشريف لاتخاذ الإجراءات القانونية لمنع هذه المهاترات وحماية شباب الأمة من التضليل والخداع .

وفي أبريل ٢٠١٥ م قررت "الهيئة العامة للاستثمار والمناطق الحرة" وقْفَ بَثّ برنامج "مع إسلام" الذي يقدمه إسلام البحيري، على فضائية "القاهرة والناس". وأرسلت الهيئة قرارها إلى الشركة المالكة للقناة، وحذرَتْها بأن المهلة المتاحة لتنفيذ وقف البرنامج، هي ١٥ يومًا، وأنه إذا لم يتم التنفيذ خلالها سيتم وقف القناة بالكامل.

وجاء قرار هيئة الاستثمار استنادًا إلى الشكوى المقدمة من الأزهر، مدعومة بـ "سيديهات" وفيديوهات تؤكد إثارة البحيري للفتنة بين المجتمع، من خلال سبّه الإمام البخاري والأئمة الأربعة.

في المحكمة:

في نهاية مايو ٢٠١٥ أدانت محكمة مصرية إسلام البحيري بتهمة ازدراء الأديان وقضت بالسجن لمدة ٥ سنوات مع الشغل والنفاذ، في حكم أوَّلي قابل للطعن أمام درجات التقاضي الأعلى.

صدر هذا الحكم من محكمة جنح مصر القديمة بالقاهرة في الدعوى التي أقامها المحامي محمد عبد السلام عصران، يتهم فيها بحيري "بازدراء الأديان" عبر آراء دينية قدمها في برنامج على إحدى الفضائيات.

وتعقيبا على الحكم، قال بحيري في تصريحات صحفية إنه واجه ٤٨ قضية ودعوى بعضها بوقف برنامجه، وتم وقفه بالفعل، وبعضها بتهمة "ازدراء الأديان".

وقد قضت محكمة جنح مستأنف مصر القديمة في ٢٩ ديسمبر ٢٠١٥، بقبول الاستئناف المقدم من البحيري على حبسه خمس سنوات لاتهامه بازدراء الاديان، وقضت بتخفيف الحكم إلى عام واحد.

وقامت وزارة الداخلية صباح يوم ٣٠ ديسمبر ٢٠١٥ بإيداع "إسلام البحيري"، إلى سجن طرة، وذلك تنفيذا لهذا الحكم.

لماذا اشتداد الهجوم على السُنة؟ وكأن بين هؤلاء وبينها ثأرًا داميًا؟

والإجابة في إيجاز: إن المراد بالسنة في أحد تقارير الخبراء الأوروبيين هو الجانب النظري من أقوال النبي ﷺ، أو أحاديثه المعتمدة عند المسلمين الآن. أما شخصية النبي فالمراد بها - عندهم - الجانب السلوكي العملي الأخلاقي، باعتباره "القدوة الحسنة العليا" لمن آمن وعمل صالحًا. ثم إن أحاديث النبي ﷺ - السنة - هي الحافظة لسلوكياته وعناصر شخصيته "الفريدة".

في هذا الإطار - نفهم بوضوح اشتداد الهجوم على السنة النبوية، لأنها تمثل - عندهم - عنصرين من عناصر القوة في الإسلام، وهما:

- الثروة الحديثية النبوية.
- شخصية النبي ﷺ العملية.

وهذه أولويات وضعها خصوم الإسلام للقضاء عليه، هادَنوا القرآن ليأْسِهم من النَّيْل منه؛ فهم لا يستطيعون أن يدَّعوا أنه "مزَوَّر" ويكون لادعائهم هذا رواج. ولكنهم استسهلوا الهجوم على السنة، واضعين في حسابهم أنهم إذا أسقطوا السُنة من حياة المسلمين فقد أسقطوا معها القرآن دون أن يمسوه بقول؛ لأن المسلمين لا يستطيعون أن يُقيموا القرآن إلا بإقامة السنة، فهي البيان الذي لا بد منه لما جاء في القرآن.

ومع مهادنتهم للقرآن، فإنهم وضعوا بإزائه مقولة هي في الواقع آفه قاتلة: هذه المقولة هي "القرآن ثابت الأصل متغير المحتوى" يعنون: إبقاء النص القرآني كما هو بلا تحريف في ألفاظه ولا تراكيبه وإنما التحريف المستساغ هو عدم ثبات معناه، فيعترى المعنى بمرور الأزمان، واختلاف المكان، وتباين الأحوال ما يعتريه. وعلى هذا فليس ببعيد أن يصبح مفهوم "الربا" الآن هو هو مفهوم "الزكاة" في زمانٍ آتٍ، أو مكان آخر.

يعني أن عناصر القوة الثلاثة (القرآن، والسنة، وشخصية النبي ﷺ)، قد واجهوها بالحروب الباردة وعن طريق عملائهم منا. ومرت أوقات كان الغرب فيها يزاول هذه المهمات بنفسه. ثم اهتدوا إلى "البديل" وهم العملاء من الداخل. الذين يحملون معاول الهدم الآن، وهي أقلامهم الملعونة ضد الإسلام، ونبي الإسلام وسنة نبي الإسلام ﷺ[1].

لكن هؤلاء وأولئك ومَن لفَّ لفهم وسعي سعيهم ورامَ هدفَهم في محاربة السُنّة، لن يصلوا – إن شاء الله تعالى – إلى هدفهم المنشود وغايتهم المطلوبة، لأن الله تكفل بحفظ دينه وإظهاره وعلوه في دنيا العالمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(الحجر: ٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(التوبة: ٣٢ – ٣٣).

وتصديقًا لهذا الوعد الإلهي فقد قَيَّض الله ﷻ للسُنة – عبر القرون المختلفة – جنودًا يدفعون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ولهم مؤلفات – في القديم والحديث – محمودة مشكورة في هذا الباب، منها:

١ – (الرسالة) و (اختلاف الحديث) للإمام الشافعي.

٢ – (تأويل مختلف الحديث) لابن قتيبة.

٣ – (شرح مشكل الآثار) للإمام الطحاوي.

٤ – مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، للسيوطي.

٥ – كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم.

٦ – الروض الباسم في الذَّبِّ عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير الصنعاني.

---

(١) الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض (ص ٩ – ١٦) باختصار.

7- (منزلة السنة في الإسلام، وبيان أنها لا استغناء عنها في الأحكام)، و(الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام) و(وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٨- (شبهات حول السنة)، للعلامة عبد الرزاق عفيفي.

٩- (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) للدكتور مصطفى السباعي.

١٠- (الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة) للعلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني.

١١- الأضواء السَّنِيَّة على مذاهب رافضي الاحتجاج بالسنة النبوية، للدكتور عمر الأشقر.

١٢- (دفاع عن السُنَّة ورد شبه المُسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين) للدكتور محمد أبو شهبة.

١٣- (حُجِّيَّة السنة) للدكتور عبد الغني عبد الخالق.

١٤- (ظلمات أبي رية) للشيخ محمد عبد الرازق حمزة.

١٥- (السنة قبل التدوين) و(أبو هريرة راوية الإسلام) للدكتور محمد عجاج الخطيب.

١٦- (دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه) للدكتور محمد مصطفى الأعظمي.

١٧- (السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، مناقشتها والرد عليها) للدكتور عماد السيد الشربيني.

١٨- (السنة في مواجهة الأباطيل) للأستاذ محمد طاهر حكيم.

١٩- (السنة المفترَى عليها) و(السنة بين الوحي والعقل) للمستشار سالم البهنساوي.

٢٠- (السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها) للدكتور مكي الشامي.

٢١- (المستشرقون والحديث النبوي) للدكتور محمد بهاء الدين.

٢٢- السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم) للدكتور عبد الموجود عبد اللطيف.

٢٣- (شبهات حول السنة ودحضها) للدكتور خليل ملا خاطر.

٢٤- (اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندًا ومتنًا ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم) للدكتور محمد لقمان السلفي.

٢٥- (القرآنيون وشبهاتهم حول السنة) للدكتور خادم حسين إلهي بخش.

٢٦- (الدفاع عن السنة) و(السنة في مواجهة أعدائها) و(ضلالات منكري السنة) للدكتور طه الدسوقي حبيش.

٢٧- (ضوابط الرواية عند المحدثين) للأستاذ الصديق بشير نصر.

٢٨- (دفع الشبهات عن السنة النبوية) للدكتور عبد المهدي عبد الهادي.

٢٩- كتاب (موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية) للأستاذ أمين الصادق.

٣٠- (الحديث والمحدثون) للشيخ محمد أبو زهو.

٣١- (السنة النبوية بين كيد الأعداء وجهل الأدعياء) للأستاذ حمدي الصعيدي.

وهناك كتب ورسائل أخرى في هذا الباب، إضافة إلى جهود المؤسسات العلمية المشهورة ومواقع الإنترنت وغيرها.

وهكذا نرى أن علماء الأمة على وعي بما يدبَّر ويحَاك ضد ثوابت الأمة ومصادرها، ولن يزيدهم ما يصوَّب إليهم من سهام التشكيك والتضليل إلا ثباتًا في الموقف، وقوة في الرد، وعزيمة على التواصل والاستمرار في العطاء والبذل ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢). ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(الشعراء: ٢٢٧).